الوجوه البلاغية في تفسير البحر المحيط

لأبي حيان

بقلم الدكتور

محمد إبراهيم أحمد رجب

-

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدمة

الحمد لله ربّ العالمين الذي أتقن كلّ شيءٍ صنعاً، وفطر النفوس على حبّ الجمال، وزيّن ما خلَقَ بزيناتٍ روائعَ تميلُ إليها النفوس، وتأنَسُ بها وترتاح إليها، و هي تدلُّ على إبداع خالقها وإرادته الحكيمة .

فهو الذي أنزل كتابَهُ القرآن معجزاً، وآيةً عظيمةً تدلُّ علَيْه، ومن إعجازه ما فيه من جمالٍ بيانيّ وبلاغةٍ رائعة لا ترقى إلى مِثْلها بلاغَةُ جميع البلغاء، ولا فصاحة جميعِ الفصحاء.

والصلاة والسلام على رسُولِنا محمّدٍ خاتم النبيّين والمرسلين، وإمامهم، مَنْ خَصَّه الله بالدّينِ الخاتم، والكتاب الخاتم المعجز، فأنزلَهُ عليه مُتكَفِّلاً بحفظهِ مِنَ التغيير والتبديل والزيادة والنقصان، بقَصْدٍ أو نسيان، فهيّأ له من وسائلِ الحفظِ ما جَعَلهُ باقياً كما أنْزَلَهُ في السُّطُور والصُّدور .

وبعدُ:

فخدمةً للقرآن كتاب الله المجيد، وحرصاً على إبراز بعض جوانب إعجازه البيانيّ، اجتهد علماء المسلمين بحثاً، وتَنْقِيباً واستخراجاً، حتَّى وَضَعُوا علوم البلاغة الثلاثة: (المعاني – والبيان – والبديع) ، وما يزال الباحثُون يَبْحَثُون ويستَخْرِجون ويكْتَشِفُون مِن عناصر إعجاز القرآن البياني ما لم يكتشِفْهُ السّابقون.

على أنّ كتاب الله –عزّ وجلّ– أوسَعُ من أن يُحْصِيَ كُلَّ عناصرِ إعجازه البياني الباحثون والمستخرجون والمكتشفون، مهما اجتهدوا ونقَّبُوا، لأنّ كثيراً من عناصر الجمالِ تُدْرَكُ بالحسّ الجماليّ والتذوق الفني .

وسيظهر في كلّ عَصْرٍ من جوانب إعجاز القرآن البياني روائع ما توصَّلَ السّابقون إلى اكْتشافها واستخراجها، فَهُو كتاب لا تفنى عجائبُهُ، ولا يَخْلَقُ عَلى كثْرةِ الرَّدّ [1].

وهدفي من هذا البحث الذي أتقدم بت لنيل درجة "أستاذ مساعد " في أصول الدين قسم: التفسير وعلوم القرآن . هو إبراز الجوانب البلاغية في كتاب "تفسير البحر المحيط: لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي ، . المتوفى سنة ٧٤٥هـ ، مبرزا فيه علوم البلاغة الثلاثة : "المعاني – والبيان – والبديع" حسب تناول الإمام أبي حيان الاندلسي لها في كتابه ، حيث أنه كان من علماء اللغة العربية وفنونها ، وكان من أهل التفسير وعلوم القرآن ، وكانت اللغة العربية هي مجال الإعجاز الأول الذي تحدى الله به العرب ، وقد شمر أبو حيان عن ساعد الجد ، وأعمل فكره ، وشحذ ذهنه ، مستخرجا النواحي البلاغية من النص القرآني ، وسطرها في كتابه مستشهدا بآراء علماء البلاغة السابقين ، مضيفا إليها تذوقه الفني وإحساسه بجمال النص القرآني .

ولم يكن أبو حيان بدعا من علماء البلاغة في هذا الجانب، فقد سبق إلى ذلك الإمام الجرجاني، وأبو هلال العسكري ، والجاحظ ، وابن عطية ، والزمخشري ، وغيرهم من علماء التفسير وعلوم القرآن ، وقد قامت هذه العلوم على أساس من اللغة العربية ، حتى إنه كان هناك كثيرا من الشعراء وأهل النثر قبل الإسلام يستخدمون الصور البلاغية في أبياتهم الشعرية ، وأقوالهم النثرية ، واستخدام الصور البلاغية في تصوير المعاني وتقريبها إلى الأذهان وتثبيتها في النفوس ، وجاء القرآن الكريم

(١) البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها– عبد الرحمن حنبكة الميداني ص١ .

فتحداهم في جنس ما برعوا فيه ، وثبت الانتصار للنص القرآني على مدار الزمن فقال الله تعالى :﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾[1].

كما أن هدفي من هذا البحث –أيضا– هو تربية الذوق الأدبي والبلاغي عند المتخصصين ، وعند النشء والأطفال لتربية الملكة البلاغية ، وإنّ تربية الذوق والملكة البيانيّة، مع تلقائيّة الأداء التعبيريّ هي الكفيلة بتفجير طاقات الإبداع المطلوب في الأدب، بشرط عدم الخروج عن ضوابط وقواعد اللّغة وأصول البيان .

يقول خالد بن صفوان (ت١٣٣هـ) : "خَيْرُ الكلام مَا طَرُفَتْ مَعَانيه"، وشَرُفَتْ مَبَانِيه، والْتَذَّه آذان سَامِعِيه"[2] .

ونسأل الله –تعالى– القبول والتوفيق والسداد إنه ولي ذلك والقادر عليه ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

(١) الإسراء (٨٨) .

(٢) لسان العرب مادة: (طرف) .

علوم البلاغة بانواعها الثلاثة عند أبي حيان
–رحمه الله تعالى–

يرى أبو حيان –رحمه الله – أن وجه إعجاز القرآن هو البيان في الأسلوب في النظم ، والباغة في أداء المعنى ، فلقد أبان أبو حيان –رحمه الله– وجه في غير ما آية في القرآن الكريم ، ولقد أضفى هذا النوع الأدبي على تفسيره ثوبا جميلا لفت إليه أنظار الباحثين ، وعلق به قلوب المفسرين ، فكن –رحمه الله– يذكر عند انتهاء الكلام على الآية المواطن البلاغية من بيان ومعاني وبديع فيقول: وقد تضمنت هذه الآيات الكريمة أنواعاً من الفصاحة والبيان والبديع ، ويعدد أوجه البلاغة في الآية .

يقول أبو حيان : " ودقائق الآداب من بديع وبيان " [(١)] .

١– ثم يذكر أصحاب تحقيق تفسير البحر المحيط فيقولون تحت عنوان:

٢– (مصادره في علم البلاغة):

٣– منهاج البلغاء وسراج الأدباء : لأبي الحسن حازم بن محمد بن حازم الأندلسي الأنصاري [(٢)] .

٤– نظم القرآن : للجاحظ [(٣)] .

٥– الانتصار في إعجاز القرآن: للبلاقلاني [(٤)] [(٥)].

---

(١) البحر المحيط ٦٠/١ .

(٢) ابن حازم القرطاجني : عالم في البلاغة واللغة والعروض توفي (٦٨٤) معجم المؤلفين ٣/ ١٧٧

(٣) الجاحظ: عمرو بن بحر الجاحظ ، كان من فضلاء المعتزلة والمصنفين لهم ، وكان في أيام المعتصم والمتوكل (الملل والنحل ٧٤/١)

(٤) الباقلاني : أبو بكر محمد بن الطيب البصري الباقلاني الذي ليس في المتكلمين الأشعرية أفضل منه ، من كبار علماء الكلام ، من كتبه اعجاز القرآن ، الانصاف ، مناقب الإئمة ، كشف أسرار الباطنية ولد (٣٢٨) وتوفي (٤٠٢) الموسوعة الميسرة في الاديان والمذاهب ٢/ ٢٨

(٥) البحر المحيط ٩٢/١ .

ثم يبين أبو حيان –رحمه الله– وجها لإعجاز القرآن فيقول : " القرآن المبين ، والكتاب المستبين ، الذي هو أعظم المعجزات ، وأكبر الآيات البينات ، السائرة في الآفاق ، الباقي بقاء الأطواق في الأعناق ، الجديد على تقادم الأعصار ، اللذيد على توالي التكرار ، الباسق في الإعجاز إلى الذروة العليا ، الجامع المصالح الآخرة والدنيا ، الجالي بأنواره ظلم الإلحاد ، الحالي بجواهر معانيه طلى [١] الأجياد ، صلى الله على من أنزل عليه " [٢]. عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم .

(١) طلى : الطلية: صفحة العنق . لسان العرب مادة :(لطي) .

(٢) البحر المحيط ٩٩/١ .

علم البيان

ذكر العلماء أن علم البيان أول من دون مسائله أبو عبيدة "معمر بن المثنى " في كتابه "مجاز القرآن " ، وتبعه "الجاحظ" ، ثم "قدامة بن جعفر " ، ثم "أبو هلال العسكري " ، ثم جاء الشيخ "عبد القاهر الجرجاني " فأحكم أساسه ، وأكمل في بنيانه .

البيانُ لغةً : الكشفُ، والإيضاحُ، والظهُّورُ .

واصطلاحاً: أصولٌ وقواعدُ، يعرفُ بها إيرادُ المعنَى الواحدِ، بطرقٍ يختلفُ بعضُها عن بعضٍ، في وُضوحِ الدّلالةِ العقليةِ على نفسِ ذلك المعنَى (١) .

– **موضوعه** : الألفاظُ العربيةُ، من حيثُ التشبيهُ، والمجازُ، والكنايةُ

واضعه : أبو عبيدةَ الذي دَوّنَ مسائلَ هذا العلمِ في كتابهِ المُسمَّى مجازَ القرآنِ، وما زال ينمو شيئاً فشيئاً، حتى وصلَ إلى عبد القاهر الجرجانيّ فأحكمَ أساسَهُ، وشيَّدَ بناءَه، ورتَّبَ قواعدَهُ، وتبعَهُ الجاحظُ، وابنُ المعتزّ وقُدَامةُ بن جعفر وأبو هلالٍ العسكريّ.

(١) الخلاصة في علوم البلاغة ١/٣٠ .

"علوم البلاغة "

أهمية علوم البلاغة في اللغة العربية :

إن علم البلاغة يكاد يكون مهجورا في هذا العصر ، مع أنه يتعلق بأهم علم من علوم الشريعة وهو تفسير القرآن الكريم ، بل إن السنة النبوية لها ارتباط وثيق به من حيث إن الوحي عموما سواء كان كلام الله –تعالى– أو كلام رسوله –ﷺ–، وإن كان الأول أعلى درجة في الإعجاز، إنهما مما بلغ درجة الإعجاز .

لهذا ذكر البلاغيون أنفسهم أن البلاغة كلام لها مراتب عليا ، ووسطى ، ودنيا ، فأعلى درجات البلاغة هو كلام الله تعالى ، ويلحق بت رتبة من كلام المخلوقين وهو كلام النبي –ﷺ– ، إذا علم هذا ، وعلم أن من وجوه إعجاز القرآن الكريم أنه نز ل بلغة العرب ، وأن من لغة العرب أن يتكلموا بأعلى درجات البلاغة .

ولذلك تحداهم القرآن بما هم أهله وبما هو صنعتهم ، وهو ان يأتوا بآية أو بسورة أو بعشر آيات أو بمثله ، كما قال الله تعالى : ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ [(١)] . لماذا ؟ .

لأنه بلغ أعلى درجات الإعجاز ، ولذلك لا نقول كما يقول المعتزلة بالصرفة ، وهي أنهم يستطيعون ولكن الله –تعالى – صرفهم عن ذلك ، فهذا كلام فاسد ، لذلك قال السفاريني [(٢)] :

وليس في طوق الورى من أصله أن يستطيعوا سورة مثله [(٣)]

---

(١) الإسراء (٨٨) .

(٢) السفاريني: محمد بن أحمد بن سالم شمس الدين أبو العون السفاريني ، عالم بالحديث والأصول والأدب ن ولد في سفارين من قري نابلس وتوفي بها (الأعلام ٦/ ١٤)

(٣) شرح العقيدة السفارينية ٥٣/١، لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة ١/ ١٣١ مؤسسة الخافقين ومكتبتها – دمشق الطبعة الثانية ١٤٠٢ – ١٩٨٢

فه في الأصل عاجزون عن أن يأتوا بآية واحدة من مثل القرآن ، وإن كانوا أعداء للنبي -ﷺ- ، ومع ذلك أيضا فهم أرباب البلاغة والبيان والبديع .

ومع ذلك عجزوا ، لماذا ؟ .

لكون القرآن الكريم ذاته أعلى درجة في لغة العرب . ويلزم من ذلك إن أراد الطالب أن ينظر في كلام الله -تعالى- وكلام النبي -ﷺ- أن يكون على درجة وسطى ، أقل ما يمكن أن يكون ليتمكن من فهم كلام الله وكلام رسول الله -ﷺ- .

لذلك كانت أهمية هذا الفن ؛ لأن أهل العلم نصوا على أن المجتهد الذي يتكلم في التفسير والحديث والفقه أنه لا بد أن يكون على علم بلغة العرب ، ومن لغة العرب علم البيان الذي هو علم البلاغة ، يطلق علم البلاغة ويراد بت علم البيان ، وعلم المعاني وعلم البديع .

هذه علوم ثلاثة ، كل علم فيها مستقل بذاته ، لكن لما كانت ترتبط بالمعنى أصالة ، ويتبعها اللفظ تبعا ، جموعها في علم واحد وسموه "علم البلاغة " .

والبلاغة: هي مطابقةُ الكلام لمقتضى الحقيقة ، وهي لبُّ العربية ، وقد وُضعتْ لخدمة القرآن الكريم وكلام النبي -ﷺ- خاصةً، ولخدمة علوم العربية عامةً .

والقرآن لا يفهم إلا بلغة العرب، والبلاغة علم لا يتقن إلا بالممارسة ، وعلى الطالب أن يمارس هذا الفن مع القرآن ، يعني: ينظر في التفاسير ، وخاصة ممن اعتنى بتطبيق البلاغة على الآيات القرآنية كما في تفسير الكشاف للزمخشري ، أو روح المعاني للألوسي .

نشأة علم البلاغة :

هناكُ اختلافٌ كبير في هذا الصدد ، فمنهم من يقولُ: واضعُ علم البلاغة هو الجاحظُ وخاصة في كتابه القيّمِ البيانُ والتبيينُ ، وقيل: هو الجرجاني المتوفى ٤٧١هـ بكتابيه دلائل الإعجازِ وأساس البلاغة

وقيل: هو ابن المعتزِّ المتوفى ٢٩٦هـ بكتابه البديع ، وقيل: السكاكيُّ بكتابه المفتاح .

أقسامُ علمِ البلاغة :

ينقسمُ علمُ البلاغة إلى ثلاثة أقسام :

علمُ المعاني : وهو علمٌ يعرَفُ به أحوال اللفظ العربيّ التي بها يطابقُ مقتضَى الحال

علمُ البيان : وهو علمٌ يعرَف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوحِ الدلالة عليه .

علمُ البديع : وهو علمٌ يعرَف به وجوه تحسين الكلام، بعد رعايةِ تطبيقه على مقتضَى الحال ووضوحِ الدلالة [١].

والكلامُ البليغ : هو الذي يُصورّهُ المتُكلّمُ بصورةٍ تناسبُ أحوالَ المخاطبين [٢].

---

(١) الخلاصة في علوم البلاغة ٢/١ .

(٢) السابق ٤/١ .

علمُ المعاني : أصولٌ وقوَاعِد يُعرَف بها أحوالُ الكلامِ العربيّ التي يكونُ بها مُطابقاً لِمقتضَى الحال، بحيثُ يكونُ وفقَ الغَرَضِ الذي سِيقَ لهُ.

أو هو : قواعد وأصول يعرف بها أحوال اللفظ التي يقتضيها الحال [1] .

موضوعه : اللَّفظُ العربيُّ، من حيثُ إفادتُه المعاني الثَّواني التي هي الأغراضُ المقصودةُ للمتكلّم، من جعلِ الكلام مشتملاً على تلك اللَّطائفَ والخصوصيّاتِ، التي بها يُطابقُ مُقتضَى الحال.

فائدتُهُ:

معرفةُ إعجازِ القرآن الكريمِ، من جهةِ ما خصَّهُ اللهُ به من جودةِ السبَّكِ، وحُسن الوصفِ، وبَراعةِ التَّراكيبِ ، ولُطفِ الإيجاز ،وما اشتملَ عليه من سُهولةِ التَّركيبِ، وجزالةِ كلماتِه، وعُذوبةِ ألفاظِهِ وسلامتِها ، إلى غير ذلك من محاسنهِ التي أقعدتِ العربَ عن مناهضتِه، وحارتَ عقولهُم أمامَ فصاحتهِ وبلاغتهِ.

وكذلكَ معرفة أسرارِ كلامِ النبيّ -ﷺ- ، فهو أبلغُ البلغاءِ ، وأفضلُ من نطقَ بالضادِ [2] .

وقدم علم المعاني على علم البيان ؛ لأن علم المعاني بالنسبة لعلم البيان كالمفرد للمركب ، فقدم وضعا ليوافق الوضع الطبع .

(١) شرح الجوهر المكنون في صدق الثلاثة فنون ٧/٩ .

(٢) الخلاصة في علوم البلاغة ٧/١ .

علم البديع :

البديع في اللُّغة: كلمة "بديع" على وزن "فعيل" تأتي لغة بمعنى اسم الفاعل، وبمعنى اسم المفعول.

يقال لغةً: بَدَعَ فلانٌ الشيءَ يَبْدَعُهُ بَدْعاً إذا أنشأه على غير مثال سبَقَ، فالفاعل للشيء بَدِيع، والشيء المفعول بديع أيضاً.

ويقال أيضاً: أبْدَعَ، أي: أتى بما هو مُبْتكر جديد بديع على غير مثال سبق، فهو مُبْدِع والشيء مُبْدَعٌ.

وقد أطلقت كلمة "البديع" على العلم أو الفنّ الجامع والشارح للبدائع البلاغية المشتملة على المحسنات المعنويّة، والمحسنات اللفظية، من منثورات جمالية في الكلام، ممّا لم يلحق بعلم المعاني، ولا بعلم البيان.

فعلم البديع اصطلاحاً: هو العلم الذي تُعْرِف به المحسنات الجمالية المعنوية واللفظيّة المنثورة الَّتي لم تُلْحَقْ بعلم المعاني، ولا بعلم البيان.

وقيل: هو علمٌ يُعْرفُ به الوجوه والمزايا التي تزيد الكلام حسْناً وطلاوةً، وتكسوه بهاءً ورونقاً، بعدَ مُطابقته لمقتضى الحال. مع وُضوح دلالته على المراد لفظاً ومعنى [(١)].

والمحسنات الجمالية المعنويّة: هي ما يشتمل عليه الكلام من زينات جمالية معنوية قد يكون بها أحياناً تحسينٌ وتزيين في اللفظ أيضاً ولكن تبعاً لا أصالة.

المحسنات الجمالية اللفظيّة: هي ما يشتمل عليه الكلام من زينات جماليّة لفظيّة، قد يكون بها تحسين وتزيين في المعنى أيضاً، ولكن تبعاً لا أصالة.

(١) السابق ٥٧/١ .

واضع علم البديع :

إنّ أوّل من دوَّن في هذا الفنّ "عبد الله بن المعتزّ العباسي" المتوفى سنة (٢٧٤ هجرية) إذْ جمع ما اكتشفه في الشعر من المحسنات وكتب فيه كتاباً جعل عنوانه عبارة: "البديع".

إنّ أوّل من دوَّن في هذا الفنّ "عبد الله بن المعتزّ العباسي" المتوفى سنة (٢٧٤ هجرية) إذْ جمع ما اكتشفه في الشعر من المحسنات وكتب فيه كتاباً جعل عنوانه عبارة: "البديع".

ذكر في كتابه هذا سبعة عشر نوعاً، وقال: ما جمع قَبْلي فنون البديع أحد، ولا سبقني إلى تأليفه مؤلف، ومن رأى إضافة شيء من المحاسن إليه فله اختياره.

وجاء من بعده من أضاف أنواعاً أُخَر، منهم على ما ذكر البلاغيون:

(١) "جعفر بن قُدَامة" أديب بغدادي من كبار الكتّاب متوفي سنة (٣١٩هـ) ألَّف كتاباً سمّاه "نقد قُدامة" ذكر فيه عشر نوعاً من أنواع البديع، إضافةً إلى ما سبق أن اكتشفه من قبل "عبد الله بن المعتزّ العبّاسيّ".

(٢) ثم "أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري" المتوفي سنة (٣٩٥هـ)، فقد جمع سبعة وثلاثين نوعاً من أنواع البديع.

(٣) "ابن رشيق الحسن بن رشيق القيرواني" فجمع في كتابه "العمدة" قرابة سبعة وثلاثين نوعاً من أنواع البديع.

(٤) ثم "شرف الدِّين أحمد بن يوسف القيسيّ التيفاشي" من أهل "تيفاش" وهي إحدى قرى "قفصة" بإفريقية، ولد فيها، وتعلَّم بمصر، وولي القضاء في بلده، له عدَّة مؤلفات، ولادته ووفاته في (٥٨٠ – ٦٥١هـ).

(٥) ثم "عبد العظيم المشهور بابْنِ أبي الإِصْبَع العدواني" البغدادي ثم المصري، شاعر من العلماء بالأدب، له تصانيف حسنة، منها كتابة "بديع القرآن ط" في أنواع البديع الواردة في القرآن، ولادته ووفاته (٥٩٥ – ٦٥٤هـ) وقد أوصل الأنواع إلى تسعين نوعاً".

(٦) ثم "صَفِيُّ الدين عبد العزيز بن سرايا السَّنْبسي الطائي الحِلّي" وهو معروف باسم "صفيّ الدين الْحِلّي" وُلد في الحِلَّة "بين الكوفة وبغداد"، ولادته ووفاته: (٦٧٧– ٧٥٠ هـ) فأوصل الأنواع إلى مئة وأربعين نوعاً، يمكن جمع بعضها في بعض.

(٧) ثم "عزّ الدّين علي بن الحسين الموصلي" شاعر، أديب، من أهل الموصل، سكن دمشق وتوفي فيها في (٧٨٩هـ) له مؤلف سمّاه "بديعيّة"[١] .

إلى غير ذلك من العلماء البلاغيين الذين تكلموا في علم "البديع " . والله أعلم .

(١) ينظر: كتاب البلاغية العربية ١/ ٧٤٨

المحسنات البديعية المعنوية

التورية : ويسمى "الإيهام" :

التورية: أن يَذكُرَ المتكلّم لفظاً مفرداً له معنيان، على سبيل الحقيقة، أو على سبيل الحقيقة والمجاز ، أحدهما ظاهر قريبٌ يَتَبَادَرُ إلى الذهن وهو غير مراد، والآخَرُ بعيد فيه نوع خفاءٍ وهو المعنى المراد، لكن يُورَّى عنه بالمعنى القريب، لِيَسْبِقَ الذهن إليه ويَتَوهّمَهُ قبل التأمّل، وبَعْدَ التأمّل يَتَنبَّه المتلَقِّي فيُدْرَكُ المعنى الآخر المراد .

وأصل التورية في اللّغة: إرادةُ الشيءِ وإظهارُ غيره إيهاماً، وقد جاء في كتب السيرة النبويّة أن الرسول -ﷺ- كان إذا أراد غزاة أو سفراً إلى جهةٍ ورَّى بغيرها، ليعمّي الأخبار، حتَّى لا يترصَّد له الأعداء.

قال الزمخشري: لا ترى باباً في البيان أدقَّ ولا ألطف من التورية، ولا أنفع ولا أعْوَنَ على تعاطي تأويل المتشابهات في كلام الله ورسوله منها.

أقسام التورية:

تنقسم التورية إلى ثلاثة أقسام: مجرّدة ، ومرشحة ، ومبيَّنة .

* فالتورية المجرّدة: هي التي لم يقترن بما يلائم المعنى القريب، ولا بما يلائم المعنى البعيد.

* والتورية المرشّحة: هي التي اقترنت بما يلائم المعنى القريب، سواء أكان هذا المقارن قبل اللفظ المستعمل في التورية أو بعده.

* والتورية المبيَّنة: هي التي اقترنت بما يلائم المعنى البعيد المقصود باللّفظ.

ولا يحسُنُ بلاغيّاً استخدام التورية إلاَّ إذا دعا داعٍ بلاغي يقتضيه حال المتلقّي، وهذا الداعي ممّا يُقْصدُ لدى أذكياء البلغاء، كإخفاء المراد عن العامة وإشعار الخاصة من طرفٍ خفي، وكالتعبير عن المقصود بكلام يتأتَّى معه الإنكار عند الحاجة إليه . مثل قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ ۖ لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾ ﴾ (١).

بلاغةُ المتكلِّم

هي مَلَكة في النَّفس يقتَدرُ بِهَا صاحبها على تأليف الكلام البليغ ، وبلاغة الكلام: مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته ، والمطابقة : هي الموافقة ، وهو من المفاعلة .

وظيفة علم المعاني: الاحتراز عن الخطأ في تأدية المعنى المراد .

وظيفة علم البيان : الاحتراز من التعقيد المعنوي .

وظيفة علم البديع : الاحتراز من التعقيد اللفظي، وتحسين وجوه الكلام .

وعلم البديع مكمل لعلمي المعاني والبيان .

(١) يوسف (٩٤) .

نظم القرآن وتركيبه

نزل القرآن من لدن حكيم عليم ، وقد تولى ذلك المولى –عز وجل– فجعله في أحسن النظم وأجمل التراكيب النحوية والصرفية ، ونجد الإمام أبا حيان يدافع عن نظم القرآن الكريم فيقول في تفسير قوله تعالى : ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾ ﴾ [1].

يقول: والمسجد الحرام : هو الكعبة ، واختلفوا فيما عطف عليه والمسجد ، فقال ابن عطية ، والزمخشري [2]، وتبعه في ذلك المبرد : هو معطوف على : سبيل الله .

قال ابن عطية : وهذا هو الصحيح ، ورد هذا القول بأنه إذا كان معطوفاً على : سبيل الله ، كان متعلقاً بقوله : وصدّ إذ التقدير : وصدّ عن سبيل الله وعن المسجد الحرام ، فهو من تمام عمل المصدر ، وقد فصل بينهما بقوله: وكفر به، ولا يجوز أن يفصل بين الصلة والموصول .

(١) البقرة (٢١٧) .
(٢) الكشاف ٢٥٩/١ .

وقيل : معطوف على الشهر الحرام ، وضعف هذا بأن القوم لم يسألوا عن الشهر الحرام ، إذ لم يشكوا في تعظيمه ، وإنما سألوا عن القتال في الشهر الحرام ، لأنه وقع منهم ولم يشعروا بدخوله ، فخافوا من الإثم . وكان المشركون عيروهم بذلك ، إنتهى ، ما ضعف به هذا القول ، وعلى هذا التخريج يكون السؤال عن شيئين : أحدهما : عن قتال في الشهر الحرام ، والآخر : عن المسجد الحرام والمعطوف على الشهر الحرام ، والشهر الحرام لم يسأل عنه لذاته ، إنما سئل عن القتال فيه ، فكذلك المعطوف عليه يكون السؤال عن القتال فيه ، فيصير المعنى : يسألونك عن قتال في الشهر الحرام . وفي المسجد الحرام ، فأجيبوا : بأن القتال في الشهر الحرام كبير ، وصد عن سبيل الله ، وكفر به ، ويكون : وصد عن سبيل الله ، على هذا ، معطوفاً على قوله : كبير ، أي : القتال في الشهر الحرام أخبر عنه بأنه إثم كبير ، وبأنه صد عن سبيل الله وكفر به. ويحتمل أن يكون : وصد ، مبتدأ وخبره محذوف لدلالة خبر: قتال ، عليه ، التقدير : وصد عن سبيل الله وكفر به كبير ، كما تقول : زيد قائم وعمرو ، أي : وعمرو قائم ، وأجيبوا بأن : القتال في المسجد الحرام إخراج أهله منه أكبر عند الله من القتال فيه ، وكونه معطوفاً على الشهر الحرام متكلف جداً ، ويبعد عنه نظم القرآن ، والتركيب الفصيح [(١)].

لله درك يا أبا حيان حين ذكرت آراء العلماء فصححت الصحيح وضعفت الضعيف منها ، وتتبعت آراء ابن عطية والزمخشري وقبلهما المبرد ، فضعفت ما ذهبوا إليه ، وانتصرت لنظم القرآن الكريم وتركيبه ،

(١) البحر المحيط ٢/١٥٥-١٥٦ .بتصرف يسير .

ورردت إعـرابهم، وقلـت: إن هـذا بعيـد عـن نظـم القـرآن والتركيـب الفصيح [1].

ونرى أبا حيان يرد جهل الجهلاء ، والمدعين للعلم ، فيرد عن القرآن الكريم شطحات بعض أهل اللغة كما فعل في تفسيره لقوله تعالى : ﴿ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُم مِّن فَتَيَـٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَـٰتِ ﴾ [2] فيقول:" ومن أغرب ما سطروه في كتب التفسير ونقلوه من قول الطبري : أنّ فاعل ذلك الفعل المحذوف هو قوله : (بَعْضُكُم مّن بَعْضٍ) ، وفي الكلام تقديم وتأخير . والتقدير : وَمَنْ لم يستطع منكم طولاً أن ينكح المحصنات المؤمنات فلينكح بعضهم من بعض الفتيات ، وهذا قول ينزه حمل كتاب الله عليه ، لأنه قول جمع الجهل بعلم النحو وعلم المعاني ، وتفكيك نظم القرآن عن أسلوبه الفصيح ، فلا ينبغي أن يسطر ولا يلتفت إليه " [3].

ولا يترك أبو حيان فرصة لبيان نظم القرآن وحسن ترتيبه وتركيبه إلا وانتهزها ، فنراه يأتي في بعض آيات الأحكام ويبدع فيها في هذا الشأن فيقول عند تفسير قوله تعالى على لسان إبليس : ﴿ وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَـٰنًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَـٰمِ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَـٰنَ وَلِيًّا

(١) البحر المحيط ٢/٩٠-٩١ .

(٢) النساء من الآية (٢٥) .

(٣) البحر المحيط ٣/٢٣١ .

مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدۡ خَسِرَ خُسۡرَانٗا مُّبِينٗا ﴿١١٩﴾ ﴾ [١] : " وجاء ترتيب هذه الجمل المقسم عليها في غاية من الفصاحة ، بدأ أولاً : باستخلاص الشيطان نصيباً منهم واصطفائه إياهم ، ثم ثانياً : بإضلالهم وهو عبارة عما يحصل في عقائدهم من الكفر ، ثم ثالثاً : بتمنيتهم الأماني الكواذب والإطماعات الفارغة ، ثم رابعاً : بتبتيك آذان الأنعام ، هو حكم لم يأذن الله فيه ، ثم خامساً : بتغيير خلق الله وهو شامل للتبتيك وغيره من الأحكام التي شرعها لهم . وإنما بدأ بالأمر بالتبتيك وإن كان مندرجاً تحت عموم التغيير ، ليكون ذلك استدراجاً لما يكون بعده من التغيير العام ، واستيضاحاً من إبليس طواعينهم في أول شيء يلقيه إليهم ، فيعلم بذلك قبولهم له . فإذا قبلوا ذلك أمرهم بجميع التغييرات التي يريدها منهم ، كما يفعل الإنسان بمن يقصد خداعه : يأمره أولاً بشيء سهل ، فإذا رآه قد قبل ما ألقاه إليه من ذلك أمره بجميع ما يريد منه " [٢].

(١) النساء (١١٧-١١٩) .

(٢) البحر المحيط ٣/٣٧٠ .

الإعجاز والنظم القرآني

لا يألو الإمام أبو حيان جهدا في إبراز إعجاز النظم القرآني ، فيقول في تفسيره لقوله تعالى : ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ [1] :

" لما ذكر تعالى إنعامه على نبيه –ﷺ– بالنبوّة بإنزال وحيه عليه وباهر قدرته بأنه تعالى لو شاء لذهب بالقرآن ، ذكر ما منحه تعالى من الدليل على نبوته الباقي بقاء الدهر ، وهو القرآن الذي عجز العالم عن الإتيان بمثله ، وأنه من أكبر النعم والفضل الذي أبقى له ذكراً إلى آخر الدهر ورفع له قدراً به في الدنيا والآخرة ، وإذا كان فصحاء اللسان الذي نزل به وبلغاؤهم عجزوا عن الإتيان بسورة واحدة مثله فلأن يكونوا أعجز عن (أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ) جميعه ، ولو تعاون الثقلان عليه (لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بعضهم لبعض ظهيرا) والجنّ تفعل أفعالاً مستغربة كما حكى الله عنهم في قصة سليمان عليه السلام أدرجوا مع الإنس في التعجيز ليكون ذلك أبلغ في العجز ... ويحتمل أن يكون ذكر الجن هنا لأنه عليه السلام بعث إلى الإنس والجن فوقع التعجيز للثقلين معاً لذلك .

ثم يتابع أبو حيان فينقل عن ابن عطيه [2] فصلا حسنا في ذكر الإعجاز ، فيقول: نقلناه – أي أبو حيان – بقصته ، قال : وفهمت العرب بخلوص فهمها في ميز الكلام ودريتها به ما لا نفهمه نحن ولا كل من خالطته حضارة ، ففهموا العجز عنه ضرورة وشاهده وعلمه الناس بعدهم استدلالاً ونظراً ولكل حصل علم قطعي لكن ليس في مرتبة واحدة ، وهذا

---

(١) الإسراء (٨٨) .

(٢) ابن عطية: عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية المحاربي ، مفسر ، فقيه ، عارف بالأحكام والحديث ، توفي بلورقة (٥٤١هجرية) (الأعلام – الزركلي ٣/ ٢٨٢)، سير أعلام النبلاء ١٩ / ٥٨٨)

كما علمت الصحابة شرع النبيّ –ﷺ– وأعماله ومشاهده علم ضرورة ، وعلمنا نحن المتواتر من ذلك بنقل التواتر فحصل للجميع القطع لكن في مرتبتين ، وفهم إعجاز القرآن أرباب الفصاحة الذين لهم غرائب في ميز الكلام ، ألا ترى إلى فهم الفرزدق ' شعر جرير ' وذي الرمّة ' في قول الفرزدق : **علام تلفتين وأنت تحتي .**

وفي قول جرير : **تلفت إنها تحت ابن قين .**

وألا ترى قول الأعرابي : عز فحكم فقطع ، وألا ترى إلى الاستدلال الآخر على البعث بقوله ﴿ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ﴿٢﴾ ﴾ فقال : إن الزيارة تقتضي الانصراف ، ومنه علم بشار بقول أبي عمرو بن العلاء في شعر الأعشى : **وأنكرتني وما كان الذي نكرت**

ومنه قول الأعرابي للأصمعي : **من أحوج الكريم أن يقسم**

فهم مع هذه الأفهام أقروا بالعجز ، ولجأ النجاد منهم إلى السيف ورضي بالقتل والسباء وكشف الحرم . وهو كان يجد المندوحة عن ذلك بالمعارضة انتهى . ما اقتصرنا عليه من كلامه وكان قد قدم قبل ذلك قوله والعجز في معارضة القرآن إنما وقع في النظم ، وعلة ذلك الإحاطة التي لا يتصف بها إلاّ الله عز وجل والبشر مقصر ضرورة بالجهل والنسيان والغفلة وأنواع النقص ، فإذا نظم كلمة خفي عنه العلل التي ذكرنا " [(١)] .

ويستمر أبو حيان في جمع الأدلة من أقوال العلماء ، فينقل قول الزمخشري [(٢)] : "والعجب من المذاهب ومن زعمهم أن القرآن قديم مع اعترافهم بأنه معجز ، وإنما يكون المعجز حيث تكون القدرة ...

(١) البحر المحيط ٦/٧٥-٧٦ .

(٢) الكشاف ٢/٦٩٢ .

﴿ مِن كُلِّ مَثَلٍ ﴾ إشارة إلى التحدّي به بالجهات المختلفة كالتحدي بكل القرآن كالذي هنا ، وبسورة مثله وبكلام من سورة كقوله :﴿ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [1] ، ومع ظهور عجزهم (فأبي أكثر الناس إلاَّ كُفُورًا " أ.هـ [2] .

وهكذا نرى الإمام أبا حيان يجتهد أشد الاجتهاد في الانتصار للنظم القرآني ، ويدافع عنه بكل بسالة ، معتمدا على النص القرآني وأقوال النبي –ﷺ– وأقوال الشعراء ، ولا يترك فرصة إلا وانتصر فيها للنص القرآني ، وقد كان بارعا في ذلك منتهى البراعة –رحمه الله – .

وفي موضع آخر نرى الإمام أبا حيان يؤكد على إعجاز التركيب في النظم القرآني فيقول في تفسير قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٦﴾ ﴾ [3]: " أي: كل سر خفي ، ورد عليهم بهذا وهو وصفه تعالى بالعلم ؛ لأن هذا القرآن لم يكن ليصدر إلاّ من علام بكل المعلومات لما احتوى عليه من إعجاز التركيب الذي لا يمكن صدوره من أحد ، ولو استعان بالعالم كلهم ولاشتماله على مصالح العالم وعلى أنواع العلوم واكتفى بعلم السر لأن ما سواه أولى أن يتعلق علمه به ، أو (يَعْلَمْ) ما تسرون من الكيد لرسوله مع علمكم ببطل ما تقولون فهو مجازيكم " [4] .

---

(١) الطور (٣٤) .

(٢) البحر المحيط ٦/٧٦–٧٧ . بتصرف .

(٣) الفرقان (٦) .

(٤) البحر المحيط ٦/٤٤٢ .

الاستعارة

نرى الإمام أبو حيان –رحمه الله– يذكر أنواع من علوم البلاغة ومنها الاستعارة فيقول في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿٢١﴾ ﴾ [١] : " والاستعارة في قوله : وأخذن منكم ميثاقاً غليظاً ، استعار الأخذ للوثوق بالميثاق والتمسك به ، والميثاق معنى لا يتهيأ فيه الأخذ حقيقة ، وفي : كتاب الله عليكم أي فرض الله ، استعار للفرض لفظ الكتاب لثبوته وتقريره ، فدل بالأمر المحسوس على المعنى المعقول .

وفي : محصنين ، استعار لفظ الإحصان وهو الامتناع في المكان الحصين للامتناع بالعقاب ، واستعار لكثرة الزنا السفح وهو صب الماء في الأنهار والعيون بتدفق وسرعة ، وكذلك : فآتوهن أجورهن استعار لفظ الأجور للمهور ، والأجر هو ما يدل على عمل ، فجعل تمكين المرأة من الانتفاع بها كأنه عمل تعمله . وفي قوله : طولاً استعارة للمهر يتوصل به للغرض ، والطول وهو الفضل يتوصل به إلى معالي الأمور . وفي قوله : يتبعون الشهوات استعار الاتباع والميل اللذين هما حقيقة في الإجرام لموافقة هوى النفس المؤدي إلى الخروج عن الحق . وفي قوله : أن يخفف ، والتخفيف أصله من خفة الوزن وثقل الجرم ، وتخفيف التكاليف رفع مشاقها من النفس ، وذلك من المعاني " [٢] .

---

(١) النساء (٢١) .

(٢) البحر المحيط ٣/٢٣٨-٢٣٩.

هكذا يبرز أبو حيان الاستعارة في الآية الكريمة ، وينبه على أهميتها ، ويذكر المعنى الحقيقي ، ثم يبين موطن الاستعارة فيه ، وهذا بيان لبعض الوجوه البلاغية في تفسير أبي حيان الأندلسي –رحمه الله– .

لا يكتفي أبو حيان بما ذكرنا في المثال الأول للاستعارة ، بل ذهب إلى موضع آخر فأبرز ما فيه من بلاغة واستعارة ، فنجده يقول في تفسيره لقوله تعالى : ﴿ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ ﴾ [1] : " والاستعارة في : فإن تنازعتم ، أصل المنازعة الجذب باليد ، ثم استعير للتنازع في الكلام ، وفي : ضلالاً بعيداً استعار البعد المختص بالأزمنة والأمكنة للمعاني المختصة بالقلوب لدوام القلوب عليها ، وفي : فيما شجر بينهم استعار ما اشتبك وتضايق من الشجر للمنازعة التي يدخل بها بعض الكلام في بعض استعارة المحسوس للمعقول وفي : أنفسهم حرجاً أطلق اسم الحرج الذي هو من وصف الشجر إذا تضايق على الأمر الذي يشق على النفس للمناسبة التي بينهما وهو من الضيق والتتميم ، وهو أن يتبع الكلام كلمة تزيد المعنى تمكناً وبياناً للمعنى المراد وهو في قوله قولاً بليغاً أي : يبلغ إلى قلوبهم ألمه أو بالغاً في زجرهم . وزيادة الحرف لزيادة المعنى " [2] .

(١) النساء (٥٩) .

(٢) البحر المحيط ٣/٣٠٥-٣٠٦ .

الترتيب في القرآن الكريم

لا ننسى أن الإمام أبا حيان كان من علماء العربية بلا منازع ، وأن عنده تذوق عال لأسلوب القرآن الكريم ، فنراه يتحدث عن ترتيب النص القرآني فيقول عند تفسير قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢١٨﴾ ﴾[1]: " وقد احتوت هذه الجملة على ثلاثة أوصاف ، وجاءت مرتبة بحسب الوقائع والواقع ، لأن الإيمان أولها ، ثم المهاجرة، ثم الجهاد في سبيل الله . ولما كان الإيمان هو الأصل أفرد به موصول وحده ، ولما كانت الهجرة والجهاد فرعين عنه أفردا بموصول واحد ، لأنهما من حيث الفرعية كالشيء الواحد . وأتى خبر : أن ، جملة مصدرة : بأولئك ، لأن اسم الإشارة هو المتضمن الأوصاف السابقة من الإيمان والهجرة والجهاد ، وليس تكريراً لموصول بالعطف مشعراً بالمغايرة في الذوات ، ولكنه تكرير بالنسبة إلى الأوصاف ، والذوات هي المتصفة بالأوصاف الثلاثة ، فهي ترجع لمعنى عطف الصفة بعضها على بعض للمغايرة ، لا : إن الذين آمنوا ، صنف وحده مغاير : للذين هاجروا وجاهدوا " [2].

ثم نرى أبا حيان يستمر في إبراز ترتيب النص القرآني في تفسيره على هذا المنوال فيقول في تفسيره لقوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓاْ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ

(١) البقرة (٢١٨) .

(٢) البحر المحيط ١٦١/٢ .

﴿ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ﴾ [1] : " دلت الآية على أن إيجاب الصلاة والزكاة كان مقدماً على إيجاب الجهاد .

وهذا الترتيب هو المطابق لما في العقول ، لأن الصلاة عبارة عن التعظيم لأمر الله ، والزكاة عبارة عن الشفقة على خلق الله . ولا شك أنهما متقدمان على الجهاد . والفريق إمّا منافقون ، وإما مؤمنون ، أو ناس في الزمان المتقدم ، أو أسلموا قبل فرض القتال حسب اختلاف سبب النزول . والناس هنا أهل مكة قاله الجمهور ، أو كفار أهل الكتاب ومشركو العرب " [2] .

ويبين أبو حيان قيمة الترتيب القرآني فيقول عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ [3] : "ومجيء لو هنا لاستقصاء جميع ما يمكن فيه الشهادة ، لما كانت الشهادة من الإنسان على نفسه بصدد أن لا يقيمها لما جبل عليه المرء من محاباة نفسه ومراعاتها ، نبّه على هذه الحال ، وجاء هذا الترتيب في الاستقصاء في غاية من الحسن والفصاحة .

فبدأ بقوله : ولو على أنفسكم ، لأنه لا شيء أعز على الإنسان من نفسه ، ثم ذكر الوالدين وهما أقرب إلى الإنسان وسبب نشأته ، وقد أمر ببرهما وتعظيمهما ، والحوطة لهما ، ثم ذكر الأقربين وهم مظنة المحبة والتعصب . وإذا كان هؤلاء أمر في حقهم بالقسط والشهادة عليهم ، فالأجنبي أحرى بذلك " [4] .

---

(١) النساء (٧٧) .

(٢) البحر المحيط ٣٠٩/٣ .

(٣) النساء (١٣٥) .

(٤) البحر المحيط ٣٨٤/٣-٣٨٥ .

ثم يقول في تفسر قوله تعالى : ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ ﴾ [١] :

" والترتيب القرآني جاء في غاية الفصاحة لأنه تعالى وصف نفسه بصفة الربوبية وصفة الرحمة ثم ذكر شيئين أحدهما ملكه يوم الجزاء والثاني العبادة . فناسب الربوبية للملك والرحمة العبادة . فكان الأول للأول والثاني للثاني " [٢] .

ثم يتكلم عن بلاغة الترتيب اللفظي والمعنوي في القرآن الكريم ، فيقول: " وناسب ذكر هذه الأخبار ما قبلها ، ومناسب عطف بعضها على بعض ، لما تذكره فنقول : متى ذكر وصف ورتب عليه أمر ، فللعرب فيه طريقان : أحدهما : أن تكون تلك الأمور المترتبة على الأوصاف مقابلة لها ، الأول منها لأول تلك الأوصاف ، والثاني للثاني ، فتحصل المقابلة من حيث المعنى ومن حيث الترتيب اللفظي ، حيث قوبل الأول بالأول ، والثاني بالثاني . وتارة يكون الأول من تلك الأمور مجاوراً لما يليه من تلك الأوصاف ، فتحصل المقابلة من حيث المعنى ، لا من حيث الترتيب اللفظي ، وهذه الآية جاءت من هذا القبيل .

لما ذكر تعالى اشتراءهم الثمن القليل ، وكان ذلك كناية عن مطاعمهم الخسيسة الفانية ، بدأ أولاً في الخبر بقوله : ﴿ مَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ إِلَّا ٱلنَّارَ ﴾ . ثم قابل تعالى كتمانهم الدين والكتمان ، هو أن لا يتكلموا به بل يخفوه بقوله تعالى : ﴿ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ ﴾ ، فجوزوا على منع التكلم بالدين أن منعوا تكليم الله إياهم ، وابتنى على كتمانهم

(١) الفاتحة (٣) .

(٢) البحر المحيط ١٣٣/١ .

الدين ، واشترائهم بما أنزل الله ثمناً قليلاً ، أنهم شهود زور وأخبار سوء ، حيث غيروا نعت رسول الله -ﷺ- ، وادعوا أن النبي المبتعث هو غير هذا ، فقوبل ذلك كله بقوله : ﴿ وَلَا يُزَكِّيهِمْ ﴾ ثم ذكر أخيراً ما أعد لهم من العذاب الأليم ، فرتب على اشتراء الثمن القليل قوله : ﴿ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ ﴾ ، وعلى الكتمان قوله : ﴿ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ ﴾، وعلى مجموع الوصفين قوله : ﴿ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾ ﴾ فبدأ أولاً : بما يقابل فرداً فرداً ، وثانياً : بما يقابل المجموع "[1].

(١) البحر المحيط ٦٦٨/١ .

التقديم والتأخير – الالتفات

إن تقديم الكلام وتأخيره جزء من بلاغة القرآن الكريم ، وقد اعتنى به القرآن الكريم عناية كبيرة ، مما لفت أنظار العلماء إليه ومنهم أبو حيان الأندلسي ، ولنضرب على ذلك مثالا :

يقول أبو حيان في قوله تعالى ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ ﴾ [١] : " (إياك) مفعول مقدم و الزمخشري يزعم أنه لا يقدم على العامل إلا للتخصيص فكأنه قال : ما نعبد إلا إياك ، فالتقديم عندنا إنما هو للاعتناء والاهتمام بالمفعول . وسب أعرابي آخر فأعرض عنه وقال : إياك أعني فقال له : وعنك أعرض ، فقدما الأهم " .

ونلاحظ هنا انتقال في صيغ الكلام ، يقول أبو حيان : " والانتقال من فنون البلاغة وهو الانتقال من الغيبة للخطاب ، أو التكلم ومن الخطاب للغيبة ، أو التكلم ومن التكلم للغيبة أو الخطاب . والغيبة تارة تكون بالظاهر وتارة بالمضمر وشرطه أن يكون المدلول واحدا . ألا ترى أن المخاطب بإياك هو الله تعالى ؟ وقالوا فائدة هذا الالتفات إظهار الملكة في الكلام والاقتدار على التصرف فيه .

وقد عقد أرباب علم البديع للالتفات في كلامهم ومن أجلهم كلاما فيه ابن الأثير الجزري [٢] رحمه الله تعالى ، وقدمت العبادة على الاستعانة لتقديم الوسيلة قبل طلب الحاجة لتحصل الإجابة لها ، وللتنصيص على طلب العون منه بخلاف لو كان إياك نعبد ونستعين فإنه كان يحتمل أن يكون إخبارا بطلب العون " [٣] .

---

(١) الفاتحة (٥) .

(٢) ابن الأثير الجزري : عز الدين علي بن محمد بن عبد الكريم الجزري المعروف ب (ابن الأثير)

(٣) البحر المحيط ١٤١/١/١٤٢ .

فصاحة القرآن وحسن الترتيب

لا يمكن لأحد أن ينكر براعة أبي حيان في إظهار فصاحة القرآن ، وبيان حسن ترتيبه ، ودقة ألفاظه ومعانيه ، حتى إننا نجده يقف عند تفسيره لخواتيم سورة البقرة وقفة طويلة ، فيبين براعة ودقة النص القرآني فيقول في تفسيره لقوله تعالى : ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨٥ ﴾[1]:

" ولما كان مفتتح هذه السورة بذكر الكتاب المنزل ، وأنه هدى للمتقين الموصوفين بما وصفوا به من الإيمان بالغيب ، وبما أنزل إلى الرسول وإلى من قبله ، كان مختتمها أيضاً موافقاً لمفتتحها .

وقد تتبعت أوائل السور المطولة فوجدتها يناسبها أواخرها ، بحيث لا يكاد ينخرم منها شيء ... وذلك من أبدع الفصاحة ، حيث يتلاقى آخر الكلام المفرط في الطول بأوله ، وهي عادة للعرب في كثير من نظمهم ، يكون أحدهم آخذاً في شيء ، ثم يستطرد منه إلى شيء آخر ، ثم إلى آخر ، هكذا طويلاً ، ثم يعود إلى ما كان آخذاً فيه أولاً . ومن أمعن النظر في ذلك سهل عليه مناسبة ما يظهر ببادىء النظم أنه لا مناسبة له ، فبين تعالى في آخر هذه السورة أن أولئك المؤمنين هم أمة محمد -ﷺ- ... وقدّم الرسول لأن إيمانه هو المتقدّم وإيمان المؤمنين متأخر عن إيمانه ، إذ هو المتبوع وهم التابعون في ذلك ... والإيمان بالله هو : التصديق به ، وبصفاته ، ورفض الأصنام ، وكل معبود سواه . والإيمان

(١) البقرة (٢٨٥) .

بملائكته هو اعتقاد وجودهم ، وأنهم عباد الله ، ورفض معتقدات الجاهلية فيهم ، والإيمان بكتبه هو التصديق بكل ما أنزل على الأنبياء الذين تضمنهم كتاب الله ، وما أخبر به رسول الله –ﷺ– من ذلك ، والإيمان برسله هو التصديق بأن الله أرسلهم لعباده .

وهذا الترتيب في غاية الفصاحة ، لأن الإيمان بالله هو المرتبة الأولى ، وهي التي يستبد بها العقل إذ وجود الصانع يقربه كل عاقل ، والإيمان بملائكته ههي المرتبة الثانية ، لأنهم كالوسائط بين الله وعباده ، والإيمان بالكتب ههو الوحي الذي يتلقنه الملك من الله ، يوصله إلى البشر ، هي المرتبة الثالثة ، والإيمان بالرسل الذين يقتبسون أنوار الوحي فهم متأخرون في الدرجة عن الكتب هي المرتبة الرابعة ، وقد ذكر الإمام أبو حيان [(١)] طرفا من هذا الترتيب في قوله : ﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ ﴾ [(٢)] ، ثم يتابع أبو حيان الحديث فيقول: والأولى أشرف ، فبدىء بها ، وهو : الإيمان المذكور ، والثانية هي المشار إليها بقوله ﴿ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَا ﴾وقيل : للإنسان مبدأ وحال ومعاد ، فالإيمان إشارة إلى المبدأ ، و : (سمعنا وأطعنا) ، إشارة إلى الحال ، و : (غفرانك) ، وما بعده إشارة إلى المعاد " [(٣)] .

(١) تفسير أبي حيان ٣٧٨/١، ٣٧٩.

(٢) البقرة (٩٨) .

(٣) البحر المحيط ٤٩٠/١ .

التشبيه المركب

حينما ننظر في تفسير البحر المحيط لأبي حيان نجد الإمام –رحمه الله – لا يترك موضعا لإظهار الوجوه البلاغية للنقر القرآني إلا ويظهره ويوضحه في أكثر من موضع . فنجده يقول في تفسيره لقوله تعالى : ﴿ مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾ [1] :

" لمّا ذكر تعالى أنَّ ما فعله المؤمنون من الخير فإنهم لا يحرمون ثوابه ، بل يجنون في الآخرة ثمرة ما غرسوه في الدنيا ، أخذ في بيان نفقة الكافرين ، فضرب لها مثلاً اقتضى بطلانها وذهابها مجاناً بغير عوض ...

و قال الزمخشري : "شبّه ما كانوا ينفقونه من أموالهم في المكارم والمفاخر وكسب الثناء وحسن الذكر بين الناس لا يبتغون به وجه الله بالزرع الذي حسَّه البرد فصار حطاماً " [2] ..... والظاهر أن ما في قوله : مثل ما ينفقون موصولة ، والعائد محذوف ، أيْ ينفقونه .

والظاهر تشبيه ما ينفقونه بالريح ، والمعنى : تشبيهه بالحرث . فقيل : هو من التشبيه المركب لم يقابل فيه الإفراد بالإفراد ، وقد مر نظيره في قوله تعالى : ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا ﴾ [3] ، ولذلك قال ثعلب : بدأ بالريح ، والمعنى على الحرث ، وهو اختيار الزمخشري . وقيل : وقع التشبيه بين شيئين وشيئين ، وذكر أحد المشبهين وترك ذكر

(١) آل عمران (١١٧) .
(٢) الكشاف ٤٠٥/١ .
(٣) البقرة (١٧) .

الآخر ... ودل المذكوران على المتروكين . وهذا اختيار ابن عطية . قال : وهذه غاية البلاغة والإعجاز ، ومثل ذلك قوله تعالى : ﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ ﴾ انتهى .

ويجوز أن يكون على حذف مضاف من الأول تقديره : مثل مهلك ما ينفقون . أو من الثاني تقديره : كمثل مهلك ريح . وقيل : يجوز أن تكون ما مصدرية ، أي مثل إنفاقهم ، فيكون قد شبه المعقول بالمحسوس ، إذ شبه الإنفاق بالريح " [1] .

(١) البحر المحيط ٣/٤٠ .

العام المراد به الخصوص

حينما يتكلم أبو حيان عن موضوع العام في القرآن الكريم فإنه يذكره في عدة مواضع :

الموضع الأول : في قوله تعالى : ﴿ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسۡرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ ﴾ (١) .

يقول أبو حيان : " فقد اجتمعت هذه الآية وما قبلها في أنّ كلاً منهما فيما ترك ما يحبه الإنسان وما يؤثره على سبيل التقرب به لله تعالى . وكلٌّ : من صيغ العموم" (٢) .

الموضع الثاني: يذكر أبو حيان أن هناك صيغا من العموم تدل على الاستقصاء ، ويوضح ذلك من خلال تفسيره لقول الله تعالى : ﴿ أَيۡنَمَا تَكُونُواْ يُدۡرِككُّمُ ٱلۡمَوۡتُ ﴾ (٣) .

يقول أبو حيان : " وأينما تدل على العموم ، وكأنه قيل : في أي مكان تكونون فيه أدرككم الموت . ولو هنا بمعنى إن ، وجاءت لدفع توهم النجاة من الموت بتقدير : إن لو كانوا في بروج مشيدة ، ولإظهار استقصاء العموم في أينما " (٤) .

الموضع الثالث: يذكر أبو حيان مثالا آخر مما يدل على العموم ، فيقول في تفسيره لقوله الله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ

(١) آل عمران (٩٣) .
(٢) البحر المحيط ٣/٣ .
(٣) النساء (٧٨) .
(٤) البحر المحيط ٣١١/٣ .

﴿ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ ﴾ [١] : " ودلت هذه الآية على تأكيد فرض الحج ، إذ جاء ذلك بقوله : ولله ، فيشعر بأن ذلك له تعالى ، وجاء بعلى الدالة على الاستعلاء ، وجاء متعلقاً بالناس بلفظ العموم وإن كان المراد منه الخصوص ليكون من وجب عليه ذكر مرتين . قال الزمخشري : وفي هذا الكلام أنواع من التأكيد والتشديد . فمنها قوله : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ ﴾ يعني أنه حق واجب لله في رقاب الناس لا ينفكون عن أدائه والخروج عن عهدته . ومنها أنه ذكر الناس ثم أبدل منه ، . من استطاع إليه سبيلاً وفيه ضربان من التأكيد : أحدهما : أن الإبدال تنبيه للمراد وتكرير له . والثاني : أن الإيضاح بعد الإبهام والتفصيل بعد الإجمال إيراد له في صورتين مختلفتين " . ثم يقول أبو حيان : " انتهى كلامه ، وهو حسن " [٢] .

فنرى أبا حيان يوافق على كلام الزمخشري ، ويوسمه بأنه " حسن " ، وهذا من أشد الموافقة على كلام الزمخشري .

الموضع الرابع : أن "أل " للجنس وليست للعهد في بعض آيات القرآن ، فيقول في تفسير قول الله تعالى : ﴿ وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ١٢٦ ﴾ [٣] :

" وتكون الجملة من قوله : وما النصر إلا من عند الله اعتراضية بين المعطوف عليه والمعطوف . والذي يظهر أنْ تتعلق بأقرب مذكور وهو :

(١) آل عمران (٩٧) .

(٢) البحر المحيط ٣/١١-١٢. وينظر: الكشاف ١/٣٩٠ .

(٣) آل عمران (١٢٦) .

العامل في من عند الله وهو خبر المبتدأ . كأنّ التقدير : وما النصر إلا كائن من عند الله ، لا من عند غيره . لأحد أمرين : إما قطع طرف من الكفار بقتل وأسر ، وإما بخزي وانقلاب بخيبة . وتكون الألف واللام في النصر ليست للعهد في نصر مخصوص، بل هي للعموم، أي: لا يكون نصر أي نصر من الله للمسلمين على الكفار إلا لأحد أمرين"[1] .

(١) البحر المحيط ٣/٥٦ .

تفسير المعنى وتفسير الإعراب

نرى الإمام أبا حيان يضرب بسهم آخر في بيان الوجوه البلاغية في تفسيره ، فنراه يتكلم عن تفسير المعنى ، ومخالفته لتفسير الإعراب حسب القواعد النحوية والصرفية ، فيقول في تفسيره لقول الله تعالى : ﴿ فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٩٣﴾ ﴾ [1] : " وفسر الظالمون هنا بمن بدأ بالقتال ، وقيل : من بقي على كفر وفتنة ، قال عكرمة ، وقتادة : الظالم هنا من أبى أن يقول لا إله إلاَّ الله .

وقال الأخفش المعنى : فإن انتهى بعضهم فلا عدوان إلاَّ على من لم ينته ، وهو الظالم " .

وبعد أن ذكر الإمام أبو حيان آراء بعض التابعين في تفسير معنى (الظالمين) نجده يستشهد بقول الزمخشري فيقول : " قال الزمخشري : فلا تعتدوا على المنتهين لأن مقاتلة المنتهين عدوان وظلم ، فوضع قوله : إلاَّ على الظالمين ، موضع : على المنتهين " .

ثم نرى الإمام يذهب فيوجه الكلام فيقول: " وهذا الذي قاله لا يصح إلاَّ على تفسير المعنى ، وأما على تفسير الإعراب فلا يصح ، لأن : على المنتهين ، ليس مرادفاً لقوله : إلاَّ على الظالمين ، لأن نفي العدوان عن المنتهين لا يدل على إثباته على الظالمين إلاَّ بالمفهوم مفهوم الصفة . وفي التركيب القرآني يدل على إثباته على الظالمين بالمنطوق المحصور بالنفي ، وإلاَّ وفرق بين الدلالتين ، ويظهر من كلامه أنه أراد تفسير الإعراب .

---

(١) البقرة (١٩٣) .

ألا ترى قوله : فوضع قوله : إلاَّ على الظالمين ، موضع : على المنتهين ؟ وهذا الوضع إنما يكون في تفسير الإعراب " [1] .

هكذا نرى الإمام أبا حيان – رحمه الله – ينتصر لتفسير القرآن حسب النص القرآني فيقول : " وفي التركيب القرآني يدل على إثباته على الظالمين بالمنطوق المحصور بالنفي " . فلا يبتعد عن النص القرآني ، ويتمسك بتفسيره على المعنى المفهوم من النص القرآني . والله أعلم .

(١) البحر المحيط ٢/٧٧ .

العموم والخصوص المخصص

في هذا المبحث نجد الإمام أبا حيان –رحمه الله– يظهر قدراته في إظهار الوجوه البلاغية في تفسيره ، فيخوض في مسألة قل من نجا منها ووصل إلى الصواب فيها ، فيتكلم في مسألة العموم والخصوص ، هل هما على الإطلاق . أم هناك مخصص لهما ؟ .

ويجيب أبو حيان –رحمه الله – على هذا السؤال فيقول في تفسيره لقول الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ ﴾ الآية [(١)] : " لما أمر تعالى: بأكل الحلال في الآية السابقة ، فصل هنا أنواع الحرام ، وأسند التحريم إلى الميتة . والظاهر أن المحذوف هو الأكل ، لأن التحريم لا يتعلق بالعين ، ولأن السابق المباح هو الأكل في قوله :) كُلُواْ مِمَّا فِي الأَرْضِ كُلُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ).

فالممنوع هنا هو الأكل ، وهكذا حذف المضاف يقدر بما يناسب ..... فسائر وجوه الانتفاعات محرم من هذه الأعيان المذكورة ، إما بالقياس على الأكل عند منيقول بالقياس ، وإما بدليل سمعني – قرآن أو سنة – عند من لا يقول به– أي بالقياس – ، وقال بعض الناس ما معناه : أنه تعالى لما أسند التحريم إلى الميتة ، وما نسق عليها وعلقه بعينها ، كان ذلك دليلاً على تأكيد حكم التحريم وتناول سائر وجوه المنافع ، فلا يخص شيء منها إلا بدليل يقتضي جواز الانتفاع به ، فاستنبط هذا القول تحريم سائر الانتفاعات من اللفظ " [(٢)].

---

(١) البقرة (١٧٣) .

(٢) البحر المحيط ١/٦٦٠-٦٦١ .

ثم يوجه أبو حيان هذا القول الأخير فيقول: " والأظهر ما ذكرناه من تخصص المضاف المحذوف بأنه الأكل . وظاهر لفظ الميتة يتناول العموم ، ولا يخص شيء منها إلا بدليل . قال قوم : خص هذا العموم بقوله تعالى : ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ ﴾ ، وبما روي من قوله –ﷺ– : (أحلت لنا ميتتان) [1] " .

ثم يذكر قول ابن عطية : الحوت والجراد لم يدخل قط في هذا العموم . أ.هـ

ويشرح أبو حيان معنى قول ابن عطية فيقول : " فإن عنى لم يدخل في دلالة اللفظ ، فلا نسلم له ذلك . وإن عنى لم يدخل ففي الإرادة ، فهو كما قال ، لأن المخصص يدل على أنه لم يرد به الدخول في اللفظ العام الذي خصص به" .

ولا ينسى أبو حيان مشاكسته للزمخشري فيذكر قوله : " فإن قلت في الميتات ما يحل وهو السمك والجراد . قلت : قصد ما يتفاهمه الناس ويتعارفونه في العادة . ألا ترى أن القائل إذا قال : أكل فلان ميتة ، لم يسبق الفهم إلى السمك والجراد ؟ كما لو قال : أكل دماً ، لم يسبق إلى الكبد والطحال. ولاعتبار العادة والتعارف قالوا : من حلف لا يأكل لحماً ، فأكل سمكاً ، لم يحنث ، وإن أكل لحماً في الحقيقة ... " [2].

---

(١) سنن ابن ماجة – كتاب الصيد – باب : صيد الحيتان والجراد ، حديث رقم: ٣٢١٨ ، عن عبد الله بن عمر ٣٧٢/٤ . مسند أحمد بن حنبل ٩٧/٢، حديث رقم: ٥٧٢٣ ، تحقيق شعيب الأرناؤوط – مؤسسة الرسالة –الطبعة الثانية ١٤٢٠هجرية – ١٩٩٩ميلادية ، والسنن الكبرى للبيهقي حديث رقم: ١٩٦ .

(٢) الكشاف ٢١٥/١ .

وأن السمك والجراد لم يندرج في عموم الميتة من حيث الدلالة ، فيقول أبو حيان : " وليس كما قال . وكيف يكون ذلك ، وقد روي عنه –ﷺ– أنه قال: (أحلت لنا ميتتان)؟ فلو لم يندرج في الدلالة ، لما احتيج إلى تقرير شرعي في حله، إذ كان يبقى مدلولاً على حله بقوله : (كُلُواْ مِمَّا فِى الأَرْضِ) وقوله تعالي (كُلُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ) . وليس من شرط العموم ما يتفاهمه الناس ويتعارفونه فى العادة " (١).

بل يرد أبو حيان هذا الكلام ويوضحه بكلام نفيس فيقول: " بل لو لم يكن للمخاطب شعور البتة ، ولا علم ببعض أفراد العام ، وعلق الحكم على العام ، لاندرج فيه ذلك الفرد الذي لا شعور للمخاطب به . مثال ذلك ما جاء في الحديث : (نهى رسول الله –ﷺ– عن أكل كل ذي ناب من السباع) . فهذا علق الحكم فيه بكل ذي ناب . والمخاطب ، الذين هم العرب ، لا علم لهم ببعض أفراد ذي الناب ، وذلك الفرد مندرج في العموم يقضي عليه بالنهي ، كما في بلادنا ، بلاد الأندلس ، حيوان مفترس يسمى عندهم بالدب وبالسمع، وهو ذو أنياب يفترس الرجل ويأكله، ولا يشبه الأسد ، ولا الذئب ، ولا النمر ، ولا شيئاً مما يعرفه العرب ، ولا نعلمه خلق بغير بلاد الأندلس . فهذا لا يذهب أحد إلى أنه ليس مندرجاً في عموم النهي عن أكل كل ذي ناب ، بل شمله النهي ، كما شمل غيره مما تعاهده العرب وعرفوه ، لأن الحكم نيط بالعموم وعلق به ، فهو معلق بكل فرد من أفراده، حتى بما كان لم يخلق ألبتة وقت الخطاب، ثم خلق شكلاً مبايناً لسائر الأشكال ذوات الأنياب ، فيندرج فيه ، ويحكم بالنهي عنه" .

(١) البحر المحيط ٦٦١/١ .

هذه قضية العموم والخصوص التي ضل فيها كثير من المفسرين بل والفقهاء ، ورتبوا على ذلك أحكاما أدت إلى اختلافهم في فتاويهم ، ولكن أبا حيان يضع قاعدة العموم فيقول: إن المراد بالعموم : هو العموم المطلق ، الراجع إلى مفهوم اللغة وتعارف العرب ، وأن النهي أو الحل يشمل كل ما كان مندرجا في معنيهما ، وأن الحكم يناط بالعموم ، ويتعلق به وبكل فرد من أفراده ، حتى لو وجد بعد ذلك ، ولم يكن موجودا وقت نزول الآية أو كان موجودا في مكان آخر . ومن ذلك امتناع النبي -ﷺ- عن أكل "الضب " ، وحينما سأل عن ذلك قال النبي -ﷺ- : " ليس بأرض قومي فأجدني أعافه " .

فالعرف والعادة هي التي منعت النبي -ﷺ- من الأكل . ولم يبن على ذلك تحريم أو نهي بدليل أن خالد بن الوليد أكله وأقره النبي -ﷺ- على ذلك . فيدخل فيه هذا الشيء ويحكم بالنهي عنه ؛ لأنه شامل لكل أفراد العموم. والله أعلم .

وينتصر أبو حيان -رحمه الله – لدعوى العموم ، وهي حمل ألفاظ القرآن الكريم على العموم إلا ما وردج مخصصا بمخصص يخصصه ، فيقول في دعوى العموم في تفسيره لقول الله تعالى : ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾﴾ [1] : " (لِلنَّاسِ (: ظاهره العموم وقال ابن عطية : معناه خصوص فيمن يسره الله للهدى ، بدلالة الآيات التي يتضمن ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ﴾ أ.هـ ".

(١) البقرة (١٨٧) .

فيقول أبو حيان : " ولا حاجة إلى دعوى الخصوص ، بل الله تعالى يبين آياته للناس ويوضحها لهم ، ويكسيها لهم حتى تصير جلية واضحة ، ولا يلزم من تبينها تبين الناس لها، لأنك تقول : بينت له فما بين ، كما تقول : علمته فما تعلم .

ونظر ابن عطية إلى أن معنى يبين ، يجعل فيهم البيان ، فلذلك ادّعى أن المعنى على الخصوص ، لأن الله تعالى كما جعل في قوم الهدى ، جعل في قوم الضلال ، فعلى هذا المفهوم يلزم أن يرد الخصوص على ما قررناه يبقى على دلالته الوضعية من العموم ، وعلى تفسيرنا التبيين يكون ذلك إجماعاً منا ومن المعتزلة ، وعلى تفسيره ينازع فيه المعتزلين " (١) .

هكذا نرى أبو حيان يتمسك بظواهر اللغة العربية ، ويعتمد عليها في دعوى العموم، ولا يذهب إلى التخصص إلا بمخصص يخصص المعنى، وإلا تركه على عمومه ، وهذا ضمن قاعدة " العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب " . فجزاه الله خيرا .

(١) البحر المحيط ٦١/٢ .

التأكيد بالجملة الإسمية

نجد الإمام أبا حيان يذهب إلى تأكيد الجملة القرآنية بالبناء على طريقة الجملة الإسمية دون الفعلية ، فيقول في تفسير قول الله تعالى : ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ ﴾ [1] : " وقرأ الجمهور [2] : أن تميلوا بتاء الخطاب . وقرىء : بالياء على الغيبة . فالضمير في يميلوا يعود على الذين يتبعون الشهوات . وقرأ الجمهور : ميلاً بسكون الياء . وقرأ الحسن : بفتحها ، وجاءت الجملة الأولى اسمية ، والثانية فعلية لإظهار تأكيد الجملة الأولى ، لأنها أدل على الثبوت . ولتكرير اسم الله تعالى فيها على طريق الإظهار والإضمار . وأما الجملة الثانية فجاءت فعلية مشعرة بالتجدد ، لأن أرادتهم تتجدد في كل وقت . والواو في قوله : ويريد للعطف على ما قررناه .

وأجاز الراغب أن تكون الواو للحال لا للعطف ، قال : تنبيهاً على أنه يريد التوبة عليكم في حال ما تريدون أن تميلوا ، فخالف بين الإخبارين في تقديم المخبر عنه في الجمل الأولى ، وتأخيره في الجملة الثانية ، ليبين أنَّ الثاني ليس على العطف انتهى . وهذا ليس بجيد ، لأنّ إرادته تعالى التوبة علينا ليست مقيدة بإرادة غيره الميل ، ولأنّ المضارع باشرته الواو ، وذلك لا يجوز ، وقد جاء منه شيء نادر يؤوّل على إضمار مبتدأ قبله ، لا ينبغي أن يحمل القرآن عليه ، لا سيما إذا كان للكلام محمل صحيح فصيح ، فحمله على النادر تعسف لا يجوز " [3] .

---

(١) النساء (٢٦-٢٧) .

(٢) جمهور القراء .

(٣) البحر المحيط ٣/٢٣٦-٢٣٧ .

التشبيه

عندما يصل الإمام أبو حيان –رحمه الله– إلى تفسير قول الله تعالى : ﴿ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ﴾ (١) نجده يقول : " واختلفوا في هذا التشبيه أهو تشبيه جملة بجملة لا يقصد فيها إلى تشبيه جزء بجزء ومقابلة شيء بشيء ، أو مما قصد به ذلك أي مثل نور الله الذي هو هداه واتقانه صنعة كل مخلوق وبراهينه الساطعة على الجملة كهذه الجملة من النور الذي تتخذونه أنتم على هذه الصفة التي هي أبلغ صفات النور الذي بين أيدي الناس ، أي مثل نور الله في الوضوح كهذا الذي هو منتهاكم أيها البشر .

وقيل : هو من التشبيه المفصل المقابل جزءاً بجزء ، وقرروه على تلك الأقوال الثلاثة أي (مَثَلُ نُورِهِ) في محمد أو في المؤمن أو في القرآن والإيمان) كَمِشْكَاةٍ (فالمشكاة هو الرسول أو صدره) والمصباح (هو النبوة وما يتصل بها من علمه وهداه و) زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ (قلبه . والشجرة المباركة الوحي والملائكة رسل الله إليه ، وشبه الفصل به بالزيت وهو الحجج والبراهين والآيات التي تضمنها الوحي وعلى قول المؤمن فالمشكاة صدره و (الْمِصْبَاحُ) الأيمان والعلم . و (الزُّجَاجَةُ) قلبه والشجرة القرآن وزيتها هو الحجج والحكمة التي تضمنها . قال أبيّ : فهو على أحسن الحال يمشي في الناس كالرجل الحي يمشي في قبور الأموات ، وعلى قول الإيمان والقرآن أي مثل الإيمان والقرآن في صدر المؤمن في قلبه) كَمِشْكَاةٍ " (٢) .

---

(١) النور (٣٥) .

(٢) البحر المحيط ٤١٩/٦ .

فنرى –هنا– أبا حيان يذكر لنا نوعين من أنواع التشبيه ، وهما: تشبيه جملة بجملة ، والتشبيه المفصل ، مما يدل على براعته في استظهار الوجوه البلاغية ، ويوجه تفسير الآية بناء على التشبيهين بما يثلج الصدور ، ويريح القلب .

ويبرز أبو حيان قيمة التشبيه ودوره في النص القرآني ، فيقول في تفسيره لقول الله تعالى : ﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾ ﴾ [1] بعد أن ذكر توجيها لهذا التشبيه ، وذهب ليسوق آراء العلماء في هذا التشبيه على مساحة صفحتين من كتابه "البحر المحيط " [2] فقال:

" وهذه الأقوال كلها في التشبيه ، إنما هي على مراعاة تشبيه مفرد بمفرد ، ومقابلة جزء من الكلام السابق بجزء من الكلام المشبه به . وأمّا إذا كان التشبيه من باب تشبيه الجملة بالجملة ، فلا يراعى في ذلك مقابلة الألفاظ المفردة ، بل ينظر فيه إلى المعنى . وعلى هذا الضرب من التشبيه حمل الآية أبو القاسم الراغب ، قال الراغب : فلما شبه قصة الكافرين في إعراضهم عن الداعي لهم إلى الحق بقصة الناعق ، قدم ذكر الناعق ليبني عليه ما يكون منه ومن المنعوق به . وعلى هذا ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ ..... ثم قال : و(مثل الذين) مبتدأ ، خبره (كمثل) ، والكاف للتشبيه . شبه الصفة بالصفة ، أي صفتهم كصفة الذي ينعق" أ.هـ [3] .

---

(١) البقرة (١٧١) .

(٢) وآثرنا عدم نقلها لطولها وتشعبها . فليراجع في محله . البحر المحيط ٦٥٦/١–٦٥٧ .

(٣) البحر المحيط ٦٥٧/١–٦٥٨ بتصرف يسير .

الكناية :

(١) يقول الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [١] .

يقول أبو حيان: " والدواعي إلى الاستهزاء : خوف الأذى ، واستجلاب النفع ، والهزل ، واللعب . والله تعالى منزه عن ذلك ، فلا يصح إضافة الاستهزاء الذي هذه دواعيه إلى الله تعالى .

فيحتمل أن يكون الاستهزاء المسند إلى الله تعالى كناية عن مجازاته لهم ، وأطلق اسم الاستهزاء على المجازاة ليعلم أن ذلك جزاء الاستهزاء ، أو عن معاملته لهم بمثل ما عاملوا به المؤمنين ، فأجرى عليهم أحكام المؤمنين من حقن الدم ، وصون المال ، والإشراك في المغنم ، مع علمه بكفرهم .

وأطلق على الشيء ما أشبهه صورة لا معنى ، أو عن التوطئة والتجهيل ، لإقامتهم على كفرهم ، وسمى التوطئة لهم استهزاء لأنه لم يعجل لهم العقوبة ، بل أملى ، وأخرهم إلى الآخرة ، أو عن فتح باب الجنة فيسرعون إليه فيغلق ، فيضحك منهم المؤمنون ، أو عن خمود النار فيمشون فيخسف بهم ، أو عن ضرب السور بينهم وبين المؤمنين وهو السور المذكور في الحديد ، أو عن قوله تعالى في سورة الدخان: ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ ﴾ ، أو عن تجديد الله لهم نعمة كلما أحدثوا ذنباً ، فيظنون أن ذلك لمحبة الله لهم ، أو عن الحيلولة بين المنافقين وبين النور الذي يعطاه المؤمنون ، كما ذكروا أنه روي في الحديث ، أو عن طردهم عن الجنة ، إذا أمر بناس منهم إلى الجنة ودنوا

(١) البقرة (١٤) .

منها ووجدوا ريحها ونظروا إلى ما أعد الله فيها لأهلها ، وهو حديث فيه طول، روي عن عدي بن حاتم ، ونحا هذا المنحى ابن عباس، والحسن .

وفي مقابلة استهزائهم بالمؤمنين باستهزاء الله بهم ما يدل على عظم شأن المؤمنين وعلو منزلتهم ، وليعلم المنافقون أن الله هو الذي يذب عنهم ويحاب من حاربهم . وفي افتتاح الجملة باسم التفخيم العظيم ، حيث صدرت الجملة به ، وجعل الخبر فعلاً مضارعاً يدل عندهم على التجدد والتكرر ، فهو أبلغ في النسبة من الاستهزاء المخبرية في قولهم ، ثم في ذلك التنصيص على الذين يستهزىء الله بهم " [1] .

(٢) قال تعالى : ﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ﴾ [2] .

يقول أبو حيان : " وقرأ الجمهور : الرفث ، وقرأ عبد الله : الرفث ، وكنى به هنا عن الجماع ، والرفث قالوا : هو الإفصاح بما يجب أن يكنى عنه ، كلفظ : النيك ، وعبر باللفظ القريب من لفظ النيك تهجيناً لما وجد منهم ، إذ كان ذلك حراماً عليهم ، فوقعوا فيه كما قال فيه : (تَخْتانُونَ أَنفُسَكُمْ) فجعل ذلك خيانة ، وعدى بإلى ، وإن كان أصله التعدية بالباء لتضمينه معنى الإفضاء ، وحسن اللفظ به هذا التضمين ، فصار ذلك قريباً من الكنايات التي جاءت في القرآن من قوله : (فَلَمَّا تَغَشَّاهَا) (وَلاَ تَقْرَبُوهُنَّ) (فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ) (فَالنَ بَاشِرُوهُنَّ) ، والنساء جمع الجمع ، وهو نسوة ، أو جمع امرأة على غير اللفظ ، وأضاف : النساء إلى المخاطبين لأجل الاختصاص ، إذ لا يحل الإفضاء إلاَّ لمن اختصت بالمفضي : أما بتزويج أو ملك .

---

(١) البحر المحيط ٢٠٢/١-٢٠٣ بتصرف .

(٢) البقرة (١٨٧) .

(هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ) اللباس ، أصله في الثوب ، ثم يستعمل في المرأة .

قال أبو عبيدة : يقال للمرأة هي لباسك ، وفراشك ، وإزارك لما بينهما من الممازجة . ولما كان يعتنقان ويشتمل كل منهما صاحبه في العناق ، شُبِّه كل منهما باللباس الذي يشتمل على الإنسان .

قال الربيع : هنّ لحاف لكم وأنتم لحاف لهنّ ، وقال مجاهد ، والسدي هن سكن لكم ، أي : يسكن بعضكم إلى بعض ، كقوله : (وَهُوَ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الَّيْلَ لِبَاساً وَالنَّوْمَ سُبَاتاً) وهذه الجملة لا موضع لها من الإعراب ، بل هي مستأنفة كالبيان لسبب الإحلال ، وهو عدم الصبر عنهنّ لكونهنّ لكم في المخالطة كاللباس ، وقدّم : هنّ لباس لكم ، على قوله: وأنتم لباس لهنّ ، لظهور احتياج الرجل إلى المرأة وقلة صبره عنها، والرجل هو البادىء بطلب ذلك الفعل ، ولا تكاد المرأة تطلب ذلك الفعل ابتداء لغلبة الحياء عليهن حتى إن بعضهن تستر وجهها عند المواقعة حتى لا تنظر إلى زوجها حياء وقت ذلك الفعل .

جمعت الآية ثلاثة أنواع من البيان : الطباق المعنوي ، بقوله : (أُحِلَّ لَكُمُ)، فإنه يقتضي تحريماً سابقاً ، فكأنه أحل لكم ما حرّم عليكم ، أو ما حرّم على من قبلكم ، والكناية بقوله : الرفث ، وهو كناية عن الجماع ، والاستعارة البديعة بقوله : هنّ لباس لكم " [١] .

(١) البحر المحيط ٥٦/٥٥/٢ بتصرف .

(٣) يقول الله تعالى : ﴿ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ﴾ [١] .

يقول أبو حيان : " من الكنايات اللطيفة ، والتعرضات المستحسنة ، فهذه وأشباهها في كلام الله تعالى آداب حسنة ، على المؤمنين أن يتعلموها ويتادبوا بها ، ويتكلفوا مثلها في محاوراتهم ومكاتباتهم . وهو حسن " [٢] .

(٤) يقول الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ ﴾ [٣] .

يقول أبو حيان : " والردة على العقب كناية عن الرجوع إلى الكفر " [٤] .

(٥) يقول الله تعالى : ﴿ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿٥٥﴾ ﴾ [٥] .

يقول أبو حيان مبينا ما في الآية من بلاغة:" (وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيراً) أي احتراقاً والتهاباً أي لمن صدّ عنه . وسعيراً يميز وهو شدة توقد النار . والتقدير : وكفى بسعير جهنم سعيراً ، وهو كناية عن شدة العذاب والعقوبة " [٦] .

---

(١) البقرة (٢٢٣) .

(٢) البحر المحيط ١٨١/٢-١٨٢. نقلا عن الزمخشري في الكشاف .

(٣) آل عمران (١٤٩) .

(٤) البحر المحيط ٨٢/٣ .

(٥) النساء (٥٥) .

(٦) البحر المحيط ٢٨٥/٣ .

(٦) يقول الله تعالى : ﴿ وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ ﴿٨١﴾ ﴾ [١] .

يقول أبو حيان : قوله : " (فَقَدْ هَوَى) كنى به عن الهلاك ، وأصله أن يسقط من جبل فيهلك يقال هوى الرجل أي سقط ، ويشبه الذي يقع في ورطة بعد أن بنجوة منها بالساقط ، أو (هَوَى) في جهنم وفي سخط الله وغضب الله عقوباته ، ولذلك وصف بالنزول . " [٢] .

(٧) ونجد الإمام أبا حيان –رحمه الله – يقول في تفسير قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ ﴾ [٣] ، ويرى أنه من لطيف علم البيان ، فيقول: " فأتى بهذا الركن الرابع ، وهو : الصوم .

وبناء (كتب) للمفعول في هذه المكتوبات الثلاثة ، وحذف الفاعل للعلم به ، إذ هو : الله تعالى ، لأنها مشاق صعبة على المكلف ، فناسب أن لا تنسب إلى الله تعالى ، وإن كان الله تعالى هو الذي كتبها ، وحين يكون المكتوب للمكلف فيه راحة واستبشار يبني الفعل للفاعل ، كما قال تعالى في سورة الأنعام الآية(٥٤) : (كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ) وقوله تعالي في سورة المجادلة الآية (٢١) (كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَاْ وَرُسُلِى) وقوله تعالي في سورة المجادلة الآية (٢٢) (أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ الإيمَانَ) وهذا من لطيف علم البيان .

أما بناء الفعل للفاعل في قوله : (وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ) فناسب لاستعصاء اليهود وكثرة مخالفاتهم لأنبيائهم بخلاف هذه

(١) طه (٨١) .
(٢) البحر المحيط ٦/٢٤٦ .
(٣) البقرة (١٨٣) .

الأمة المحمدية ، ففرق بين الخطابين لافتراق المخاطبين ..... ونادى المؤمنين عند غلامهم بهذا المكتوب الثالث الذي هو الصيام ؛ لينبههم على استماع ما يلقى إليهم من هذا التكليف ..... لأن البداءة بذكر المكتوب عليه أكثر من ذكر المكتوب لتعلق الكتب لمن نودي ، فتعلم نفسه أولاً أن المنادى هو المكلف ، فيرتقب بعد ذلك لما كلف به " [1] .

ولا نقف عند هذا الحد مع الإمام أبي حيان في عرضه للوجوه البلاغية في تفسيره ، فنراه يذكر قسمين من أقسام علم البيان وهما : الإيجاز والاختصار فيقول في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٢١٠﴾ ﴾ [2] .

يقول أبو حيان : " وفي قوله : (وَقُضِيَ الأَمْرُ) (وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الامُورُ) قسمان من أقسام علم البيان : أحدهما : الإيجاز في قوله : (وَقُضِيَ الأَمْرُ) فإن في هاتين الكلمتين يندرج في ضمنها جميع أحوال العباد مند خلقوا إلى يوم التناد ، ومن هذا اليوم إلى الفصل بين العباد .

والثاني : الاختصاص بقوله : (وَإِلَى اللَّهِ) فاختص بذلك اليوم لانفراده فيه بالتصرف والحكم والملك .

وقال السلمى : وقضي الأمر وصلوا إلى ما قضي لهم في الأزل من إحدى المنزلتين .

وقال جعفر : كشف عن حقيقة الأمر ونهيه .

وقال القشيري : انهتك ستر الغيب عن صريح التقدير " [3] .

---

(١) البحر المحيط ٢/٣٥ .

(٢) البقرة (٢١٠) .

(٣) البحر المحيط ٢/١٣٤-١٣٥ .

التعريض (معاريض الكلام

يعرف أبو حيان التعريض فيقول في تفسير قوله تعالى : ﴿ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴿٧٣﴾ ﴾ [١] : « والظاهر حمل النسيان على وضعه . وقد قال عليه السلام : (كانت الأولى من موسى نسياناً) والمعنى أنه نسي العهد الذي كان بينهما من عدم سؤاله حتى يكون هو المخبر له أولاً وهذا قول الجمهور .

وعن أبيّ ابن كعب أنه ما نسي ولكن قوله هذا من معاريض الكلام .

قال الزمخشري [٢] : أراد أنه نسي وصيته ولا مؤاخذة على الناسي ، أو أخرج الكلام في معرض النهي عن المؤاخذة بالنسيان توهمه أنه نسي ليبسط عذره في الإنكار وهو من معاريض الكلام التي ينفي بها الكذب مع التوصل إلى الغرض كقول إبراهيم عليه السلام . هذه أختي وإني سقيم[٣]: أو أراد بالنسيان الترك أي (لاَ تُؤَاخِذْنِى) بما تركت من وصيتك أول مرة » .

وقد ذكر ابن عطيه كلاما طويلا في ذلك آثرنا عدم نقله مخافة الإطالة ، ولا يعتمد إلا قول الرسول –ﷺ– : كانت الأولى من موسى – عليه السلام– نسيانا [٤].

---

(١) الكهف (٧٣) .

(٢) الكشاف ٧٣٥/٢ .

(٣) هذه أختي: تفسير الكشاف ٧٣٥/٢، روح المعاني ٣١٨/٨ ، أحكام القرآن لابن العربي ٣٦٨/٥ .

(٤) البحر المحيط ١٤١/٦ .

بديع الحذف وجليل الفصاحة

إن فروع علم البديع كثيرة ، ومنها (بديع الحذف) ، فنرى أبا حيان –رحمه الله– يذكر هذا النوع فيقول ذاكرا لأقوال العلماء :

قال العسكري : في الآية تقديم وتأخير كأنه قال : احمدوا الله على إنزال القرآن (قَيِّماً) لا عوج فيه ، ومن عادة البلغاء أن يقدّموا الأهم .

وقال أبو عبد الله الرازي : (وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَا) يدل على كونه مكملاً في ذاته . وقوله قيماً يدل على كونه مكملاً بغيره ، فثبت بالبرهان العقلي أن الترتيب الصحيح هو الذي ذكره الله ، وأن ما ذكروه من التقديم والتأخير فاسد يمتنع العقل من الذهاب إليه .

وقال الكرماني : إذ جعلته حالاً وهو الأظهر فليس فيه تقديم ولا تأخير ، والصحيح أنهما حالان من (الْكِتَابِ) الأولى جملة والثانية مفرد انتهى . وهذا على مذهب من يجوز وقوع حالين من ذي حال واحد بغير عطف ، وكثير من أصحابنا على منع ذلك انتهى . واختاره الأصبهاني وقال : هما حالان متواليان والتقدير غير جاعل له (عِوَجَا قَيِّماً).

وقال صاحب حل العقد : يمكن أن يكون قوله (قيماً) بدلاً من قوله (وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَا) أي جعله مستقيماً (قَيِّماً) انتهى .

ويكون بدل مفرد من جملة كما قالوا في عرفت زيداً أبو من أنه بدل جملة من مفرد وفيه خلاف . وقيل : (قَيِّماً) حال من الهاء المجرورة في (وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ) مؤكدة . وقيل : منتقلة ، والظاهر أن الضمير في (لَهُ) عائد على (الْكِتَابِ) وعليه التخاريج الإعرابية السابقة .

وزعم قوم أن الضمير في (لَهُ) عائد على (عَبْدِهِ) والتقدير (عَلَى عَبْدِهِ) وجعله (قَيِّماً). وحفص يسكت على قوله (عِوَجَا) سكتة خفيفة ثم يقول (قَيِّماً). وفي بعض مصاحف الصحابة

(وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَا) لكن جعله قيماً ويحمل ذلك على تفسير المعنى لا أنها قراءة .

وأنذر يتعدى لمفعولين قال (إِنَّا أَنذَرْنَاكُمْ عَذَاباً قَرِيباً) وحذف هنا المفعول الأول وصرح بالمنذر به لأنه هو الغرض المسوق إليه فاقتصر عليه ، ثم صرح بالمنذر في قوله حين كرر الإنذار فقال : (وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُواْ اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا) فحذف المنذر أولاً لدلالة الثاني عليه ، وحذف المنذر به لدلالة الأول عليه ، وهذا من بديع الحذف وجليل الفصاحة ، ولما لم يكرر البشارة أتى بالمبشر والمبشر به [(١)].

التسجيع

نرى الإمام أبا حيان –رحمه الله– خلال بيانه لما احتوت عليه سورة الفاتحة من بلاغة يذكر منها التسجيع فيقول: " وفي هذه السورة من التسجيع المتوازي ، وهو اتفاق الكلمتين الأخيرتين في الوزن والروي ، قوله تعالى : (الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ) ، وقوله تعالى : (نَسْتَعِينُ وَلاَ الضَّالّينَ) " [(٢)].

(١) البحر المحيط ٩٤/٦ .

(٢) السابق ١٩١/١.

التقسيم

هو أن يذكر متعدد ثم يضاف إلى كل من أفراده ما له على جهة التعيين [١] قال تعالى : ﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحَآقَّةُ ۝٣ كَذَّبَتۡ ثَمُودُ وَعَادُۢ بِٱلۡقَارِعَةِ ۝٤ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهۡلِكُواْ بِٱلطَّاغِيَةِ ۝٥ وَأَمَّا عَادٞ فَأُهۡلِكُواْ بِرِيحٖ صَرۡصَرٍ عَاتِيَةٖ ۝٦ ﴾ [٢].

ويمكن أن نزيد معنى التقسيم إيضاحا فنقول: وهو أن تذكر شيئا ذا جزأين ، ثم تضيف إلى كل واحد من أجزائه ما هو له عندك .

واشترط البديعيون أن تستوفي أقسام القسمة ، فلا نغادر منها قسما كقوله تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِي يُرِيكُمُ ٱلۡبَرۡقَ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا ﴾ [٣] .

وليس في رؤية البرق غير الخوف من الصواعق والطمع في الغيث [٤].

ونضرب مثلا لما قاله أبو حيان في التقسيم ، يقول في قوله تعالى : ﴿ وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ۝٢١٤ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٢١٥ ﴾ [٥] " و (من المؤمنين) عام في عشيرته وغيرهم . ولما كان الإنذار يترتب عليه إما الطاعة وإما العصيان ، جاء التقسيم عليهما ، فكان المعنى : أن من اتبعك مؤمناً ، فتواضع له ؛ فلذلك جاء قسيمه :) فَإِنْ عَصَوْكَ (فتبرأ منهم ومن أعمالهم " [٦].

---

(١) الخلاصة ٦٩/١ .

(٢) القارعة (٣-٦) .

(٣) الرعد (١٢) .

(٤) شرح الكافية البديعية للمحلي ص١٦٩ .

(٥) الشعراء (٢١٤-٢١٥) .

(٦) البحر المحيط ٤٤/٧ .

الترصيع

وهذا باب آخر تبرز فيه براعة أبي حيان –رحمه الله – ، حينما يذكر نوعا من أنواع علم البديع يسمى "الترصيع" فيقول في قوله تعالى : ﴿ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ ﴾ [1] كناية عن أن لا منجي لهم من العذاب ولا مخلص ولا تعلق بشيء يخلص من عذاب الله ، وهو عام في كل ما يمكن أن يتعلق به .

ثم يذكر أقوال المفسرين فيقول: وللمفسرين في الأسباب أقوال : الوصلات عن قتادة ، والأرحام عن ابن عباس وابن جريج ، أو الأعمال المتلزمة عن ابن زيد والسدي ، أو العهود عن مجاهد وأبي روق ، أو وصلات الكفر ، أو منازلهم من الدنيا في الجاه عن ابن عباس ، أو أسباب النجاة ، أو المودّات . والظاهر دخول الجميع في الأسباب ، لأنه لفظ عام . وفي هذه الجمل من أنواع البديع نوع يسمى الترصيع ، وهو أن يكون الكلام مسجوعاً كقوله تعالى : . والظاهر دخول الجميع في الأسباب ، لأنه لفظ عام .

وفي هذه الجمل من أنواع البديع ، نوع يسمى الترصيع وهو : أن يكون الكلام مسجوعاً كقوله تعالى : ﴿ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ ﴾ ، وهو في القرآن كثير ، وهو في هذه الآية في موضعين . أحدهما : ﴿ إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ ﴾ ، وهو محسن الحذف لضمير الموصول في قوله : اتبعوا ، إذ لو جاء اتبعوهم ، لفات

(١) البقرة (٢٦٦) .

هذا النوع من البديع . والموضع الثاني : ﴿ وَرَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ وَتَقَطَّعَتۡ بِهِمُ ٱلۡأَسۡبَابُ ﴾ ، ومثال ذلك في الشعر قول أبي الطيب [1] :

في تاجه قمر في ثوبه بشر في درعه أسد تدمي أظافره

وقولنا من قصيد عارضنا به بانت سعاد :

فالنحر مرمرة والنشر عنبرة والثغر جوهرة والريق معسول " [2].

ومعنى الترصيع: هو توازن الألفاظ مع توافق الأعجاز أو تقاربها كما في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٖ ١٣ وَإِنَّ ٱلۡفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٖ ١٤ ﴾ [3].

(١) المتنبي: بضم الميم، وفتح التاء المنقوطة من فوقها بنقطتين والنون وفي آخرها الباء الموحدة، هذه النسبة لابي الطيب أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفي الشاعر المعروف بالمتنبي. ولد بالكوفة، ونشأ بالشام وأكثر المقام بالبادية لما خرج إلى كلب ، وأقام فيهم ادعى أنه علوي حسني ثم ادعى بعد ذلك النبوة . وحبس دهرا طويلا وأشرف على القتل ثم استتيب وأشهد عليه بالتوبة وأطلق، ولما تنبأ في بادية السماوة ونواحيها خرج إليه لؤلؤ أمير حمص من قبل الاخشيدية فقاتله وأسره وشرد من كان اجتمع إليه من كلب وكلاب وغيرهما من قبائل العرب وحبسه في السجن دهرا طويلا، فاعتل وكاد يتلف حتى سئل في أمره فاستتابه وكتب عليه وثيقة وأشهد عليه فيها ببطلان ما ادعاه ورجوعه إلى الاسلام وأنه تائب منه ولا يعاود مثله أطلقه. وخرج المتنبي من بغداد إلى فارس فمدح بها عضد الدولة واقام عنده مديدة ثم رجع بريد بغداد فقتل في الطريق بالقرب من النعمانية في شهر رمضان سنة أربع وخمسين وثلاث مئة.

الانساب : للسمعاني ١٩٠/٥-١٩١ . واللباب في تهذيب الأنساب ١٦٢/٣ .

(٢) البحر المحيط ٦٤٧/١ .

(٣) الانفطار (١٣-١٤) .

الحقيقة

قال تعالى : ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾ (١) .

يقول أبو حيان: الجمهور على أن ابيضاض الوجوه واسوادها على حقيقة اللون . والبياض من النور ، والسواد من الظلمة .

ثم نرى الإمام أبا حيان يذهب ليجمع أقوال المفسرين ليؤيد ما قاله وما ذهب إليه من العلماء السابقين له فيقول :

قال الزمخشري: فمن كان من أهل نور الدين وُسمَ ببياض اللون وإسفاره وإشراقه ، وابيضت صحيفته وأشرقت ، وسعى النور بين يديه وبيمينه . ومن كان من أهل ظلمة الباطل وُسمَ بسواد اللون وكسوفه وكمده واسودت صحيفته وأظلمت ، وأحاطت به الظلمة من كل جانب (٢).

وقال ابن عطية : وبياض الوجوه عبارة عن إشراقها واستنارتها وبشرها برحمة الله قاله الزجاج وغيره . ويحتمل عندي أن تكون من آثار الوضوء كما قال –ﷺ– : أأنتم الغر المحجلون) من آثار الوضوء (٣).

وأما سوادُ الوجوه فقال المفسرون : هو عبارة عن ارتدادها وأظلامها بغمم العذاب . ويحتملُ أنْ يكونَ ذلك تسويداً ينزله الله بهم على جهة التشويه والتمثيل بهم ، على نحو حشرهم زرقاً ، وهذه أقبح طلعة . ومن ذلك قول بشار :

وللبخيل على أمواله علل زرق العيون عليها أوجه سود

---

(١) آل عمران (١٠٦)

(٢) الكشاف ٣٩٩/١ .

(٣) أخرجه البخاري ٢٣٥/١ في الوضوء ، باب: فضل الوضوء (١٣٦) ، ومسلم ٢١٦/١ في الطهارة ٣٥-٢٤٦ .

وقال قوم : البياض والسواد مثلان عبر بهما عن السرور والحزن لقوله تعالى في سورة النحل الآية (٥٨): ﴿ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا ﴾ وكقول العرب لمن نال أمنيته : ابيض وجهه . ولمن جاء خائباً : جاء مسودّ الوجه .

وقال أبو طالب :

وأبيض يستسقي الغمام بوجهه " [1].

ونرى الإمام أبا حيان حينما يمكن حمل اللفظ على الحقيقة والمجاز فإنه يذهب إلى حمله على الحقيقة ؛ لأنه عنده أولى وأجمل فيقول في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾ ﴾ [2] .

يقول أبو حيان : والإقدام هنا قيل : حقيقة ، دعوا بتثبيت الأقدام في مواطىء الحرب ولقاء العدوّ كي لا تزل . وقيل : المعنى شجّعْ قلوبنا على لقاء العدوّ . وقيل : ثبت قلوبنا على دينك . والأحسن حمله على الحقيقة لأنه من مظانها . وثبوت القدم في الحرب لا يكون إلا من ثبوت صاحبها في الدين .

(١) البحر المحيط ٣٨٨/١ وهو من صدر بيت لأبي طالب بن عبد المطلب من قصيدة يمدح فيها سيدنا رسول الله صلي الله عليه وسلم ، انظر شرح ديوان أبي طالب ١٠٠، ١١٣ ، شرح شواهد المغني ص ٣٩٥ ، الحماسة البصرية ١/ ١١٨ .

(٢) آل عمران (١٤٧) .

وكثيراً ما جاءت هذه اللفظة دائرة في الحرب ومع النصرة كقوله : ﴿ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا ﴾ وقوله تعالي ﴿ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ۝٧ ﴾ وقيل : اغفر لنا ذنوبنا في المخالفة ، وإسرافنا في الهزيمة ، وثبت أقدامنا بالمصابرة ، وانصرنا على القوم الكافرين بالمجاهدة [١].

ونجد الإمام أبا حيان يقول : إذا كان يمكن حمل اللفظ على الحقيقة والمجاز معا حمله عليهما ، فيقول في تفسير قول الله تعالى : ﴿ حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمۡ أُمَّهَٰتُكُمۡ ﴾ [٢] :

والأمّ المحرّمة شرعاً هي كل امرأة رجع نسبك إليها بالولادة من جهة أبيك ، أو من جهة أمك . ولفظ الأم حقيقة في التي ولدتك نفسه . ودلالة لفظ الأم على الجدّة إن كان بالتواطىء أو بالاشتراك ، وجاز حمله على المشتركين ، كان حقيقة ، وتناولها النص . وإن كان بالمجاز وجاز حمله على الحقيقة والمجاز ، فكذلك .....وذكروا أنّ سبب هذا التحريم : أنّ الوطء إذلال وامتهان ، فصينت الأمهات عنه ، إذ إنعام الأم على الولد أعظم وجوه الأنعام .

والبنت المحرّمة كل أنثى رجع نسبها إليك بالولادة بدرجة أو درجات بإناث أو ذكور ، وبنت البنت هل تسمى بنتاً حقيقة أو مجاز [٣] .

ويقول أبو حيان في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ ﴾ [٤] :

---

(١) البحر المحيط ٣/٨١ .

(٢) النساء (٢٣) .

(٣) البحر المحيط ٣/٢١٨ .

(٤) المائدة (٦) .

لا دليل فيه على أحد الأمرين انتهى كلامه . وذكر أصحابنا أنه إذا لم يقترن بما بعد إلى قرينة دخول أو خروج فإنّ في ذلك خلافاً .

و منهم من ذهب إلى أنه داخل ، ومنهم من ذهب إلى أنه غير داخل ، فإذا عرى من القرينة فيجب حمله على الأكثر .

لأن الشيء لا ينتهي ما بقي منه شيء إلا أن يتجوز ، فيجعل ما قرب من الانتهاء انتهاء . فإذا لم يتصوّر أن يكون داخلاً إلا بمجاز ، وجب أن يحمل على أنه غير داخل ، لأنه لا يحمل على المجاز ما أمكنت الحقيقة إلا أن يكون ثمّ قرينة مرجحة المجاز على الحقيقة [1].

ونجد الإمام أبا حيان يلتزم بالحقيقة ولا يذهب إلى المجاز إذا أمكن حمل اللفظ على الحقيقة لأنها أولى ، فيقول في تفسير قوله تعالى : ﴿ فَٱضۡرِبۡ لَهُمۡ طَرِيقٗا فِي ٱلۡبَحۡرِ يَبَسٗا لَّا تَخَٰفُ دَرَكٗا وَلَا تَخۡشَىٰ ٧٧ ﴾ [2] :

والظاهر أن لفظة اضرب هنا على حقيقتها من مس العصا بقوّة ، وتحامل على العصا ويوضحه في آية أخرى (أَنِ اضْرِب بّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ) الشعراء /٦٣ ، فالمعنى : أن اضرب بعصاك البحر لينفلق لهم فيصير طريقاً فتعدى إلى الطريق بدخول هذا المعنى لما كان الطريق متسبباً عن الضرب جعل كأنه المضروب .

وقال الزمخشري : (فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقاً) فاجعل لهم من قولهم : ضرب له في ماله سهماً ، وضرب اللبن عمله انتهى . وفي الحديث : (اضربوا لي معكم بسهم) [3] . ولما لم يذكر المضروب

(١) البحر المحيط ٣/٤٥٠ .

(٢) طه (٧٧) .

(٣) سنن الترمذي وقال : حديث حسن صحيح كتاب التفسير ، أبواب فضائل القرآن ٦/٢٢٦ والحديث في صحيح البخاري كتاب فضائل القرآن ، باب فاتحة الكتاب ٦/ ١٠٣ وكتاب الإجارة ، باب ما يعطي في الرقية ٣/٥٢

حقيقة وهو البحر ، ولو كان صرّح بالمضروب حقيقة لكان التركيب طريقاً فيه " [١] .

ونرى الإمام أبا حيان يعتمد في الترجيح بين الحقيقة والمجاز على أثر من الآثار الواردة عن رسول الله –ﷺ– فيقول في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾ ﴾ [٢] : " ناراً كبيرة الإيقاد . وعن الحسن : اسم من أسماء جهنم .

(إذا رَأَتْهُمْ) قيل هو حقيقة ، وإن لجهنم عينين وروي في ذلك أثر فإن صح كان هو القول الصحيح . وإلاّ كان مجازاً ، أي صارت منهم بقدر ما يرى الرائي من البعد كقولهم : دورهم تتراءى أي تتناظر وتتقابل ، ومنه : لا تتراءى ناراهما [٣] .

ونجد الإمام أبا حيان يستشهد بذهابه إلى الحقيقة بفعل الصحابة ، ويستند إلى قولهم وقول الرسول –ﷺ–، فيقول عند تفسير قول الله تعالى : ﴿ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ ﴾ [٤] : ظاهره أنه الخيط المعهود ، ولذلك كان جماعة من الصحابة إذا أرادوا الصوم ربط أحدهم في رجله خيطاً أبيض وخيطاً أسود ، فلا يزال يأكل ويشرب حتى يتبينا له ، إلى أن نزل قوله تعالى : (مِنَ الْفَجْرِ) فعلموا أنما عنى بذلك من الليل والنهار .

روي ذلك سهل بن سعد في نزول هذه الآية ، وروي أنه كان بين نزول : (وَكُلُواْ وَاشْرَبُواْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الابْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الاسْوَدِ) وبين نزول (مِنَ الْفَجْرِ) سنة كاملة من رمضان إلى رمضان .

---

(١) البحر المحيط ٦/٢٤٥ .

(٢) الفرقان (١١) .

(٣) البحر المحيط ٦/٤٤٤-٤٤٥ .

(٤) البقرة (١٨٧) .

ثم يردف أبو حيان فيقول: وليس هذا عندي من تأخير البيان إلى وقت الحاجة ، بل هو من باب النسخ ، ألا ترى أن الصحابة عملت به ، أعنى بإجراء اللفظ على ظاهره إلى أن نزلت : من الفجر ، فنسخ حمل الخيط الأبيض والخيط الأسود على ظاهرهما ، وصارا ذلك مجازين ، شبه بالخيط الأبيض ما يبدو من الفجر المعترض في الأفق ، وبالأسود ما يمتد معه من غبش الليل ، شبهاً بخيطين أبيض وأسود ، وأخرجه من الاستعارة إلى التشبيه قوله : من الفجر ، كقولك : رأيت أسداً من زيد ، فلو لم يذكر من زيد كان استعارة ، وكان التشبيه هنا أبلغ من الاستعارة ، لأن الاستعارة لا تكون إلاَّ حيث يدل عليها الحال ، أو الكلام وهنا ، لو لم يأت : من الفجر ، لم يعلم الاستعارة ، ولذلك فهم الصحابة الحقيقة من الخيطين قبل نزول من الفجر ، حتى إن بعضهم ، وهو عدي بن حاتم . غفل عن هذا التشبيه وعن بيان قوله : من الفجر ، فحمل الخيطين على الحقيقة . وحكي ذلك لرسول الله -ﷺ- فضحك وقال : (إن كان وسادك[1] لعريضاً [2]) وروي : (إنك لعريض القفاء) . إنما ذاك بياض النهار وسواد الليل ، والقفا العريض يستدل به على قلة فطنة الرجل ، وقال :

عريض القفا ميزانه عن شماله قد أنحصَّ من حسب القراريط شاربه [3]

---

(١) الوِساد والوِسادَةُ : المِخَدَّةُ والجمع وسائِدُ وَوُسُدٌ ابن سيده وغيره الوِسادُ المِتَّكَأُ ، وفي الحديث قال لعدِيّ بن حاتم إِنَّ وِسادَكَ إِذَنْ لَعَرِيضٌ كنى بالوِسادِ عن النوم لأَنه مَظِنَّته أَراد أَن نومك إِذَنْ كثير ، وكَنى بذلك عن عِرَضِ قفاه وعِظَمِ رأْسه وذلك دليل الغَباوَةِ . لسان العرب : محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري ٤٨٣٠/٦ دار صادر – بيروت – الطبعة الأولي .

(٢) أخرجه البخاري ، كتاب التفسير ، باب تفسير سورة البقرة ، حديث رقم رقم (٤٥١٠) ، ٤٩١/١٤ طبعة مكنز ، وصحيح مسلم بشرح النووي٧م٢٠١.

(٣) البيت من شواهد الكشاف وفيه: في شماله : بدلا من (عن شماله) . الكشاف ٢٣٢/١.
يصف رجلا بالغباوة عن طريق الكناية ، فعرض القفا كناية عن الحمق ، وكونه ميزانه في شماله كناية عن البله ، وانحص أي: انحسر شاربه لكثرة ما يعض على شفتيه . عند الحسب كناية عن البلادة . الهامش الأول ٥٨/٢.

وكل ما دق واستطال وأشبه الخيط سمته العرب خيطاً .

وقال الزجاج : هما فجران : أحدهما يبدو سواداً معترضاً ، وهو الخيط الأسود ؛ والأخر يطلع ساطعاً يملأ الأفق ، فعنده الخيطان : هما الفجران ، سميا بذلك لامتدادهما تشبيهاً بالخيطين . وقوله : من الفجر ، يدل على أنه أريد بالخيط الأبيض الصبح الصادق ، وهو البياض المستطير في الأفق ، لا الصبح الكاذب ، وهو البياض المستطيل ، لأن الفجر هو انفجار النور ، وهو بالثاني لا بالأوّل ، وشبه بالخيط وذلك بأول حاله ، لأنه يبدو دقيقاً ثم يرتفع مستطيراً ، فبطلوع أوله في الأفق يجب الإمساك . هذا مذهب الجمهور ، وبه أخذ الناس ومضت عليه الأعصار والأمصار ، وهو مقتضى حديث ابن مسعود ، وسمرة بن جندب [١].

المجـاز

قال تعالى : ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ ﴾ [٢] الآية .

يقول الإمام أبو حيان في بيان الحقيقة والمجاز في هذه الآية ما ملخصه :

النور في كلام العرب : الضوء المدرك بالبصر ، فإسناده إلى الله تعالى مجاز كما تقول : زيد كرم وجود ، وإسناده على اعتبارين ، الأول: إما على أنه بمعنى اسم الفاعل ، أي : منور السموات والأرض ، ويؤيد

(١) البحر المحيط ٢/٥٧-٥٨.

(٢) النور (٣٥) .

هذا التأويل قراءة علي بن أبي طالب ، وأبي جعفر ، وعبد العزيز المكي ، وزيد بن علي ، وثابت بن أبي حفصة ، والقورصي ، ومسلمة ابن عبد الملك ، وأبي عبد الرحمن السلمي ، وعبد الله بن عياش بن أبي ربيعة (نور) فعلا ماضيا، و (الأرض) بالنصب .

والثاني: إما على حذف ، أي: ذو نور ، ويؤيده قوله (مَثَلُ نُورِهِ) ويحتمل أن يجعل نوراً على سبيل المدح ، كما قالوا فلان شمس البلاد ونور القبائل وقمرها ، وهذا مستفيض في كلام العرب وأشعارها .

قال الشاعر :

كأنك شمس والملوك كواكب (١)

وقال :

قمر القبائل خالد بن زيد (٢)

وقال :

إذا سار عبد الله من مرو ليلة فقد سار منها بدرها وجمالها (٣)

ويروى نورها ، وأضاف النور إلى (السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ) لدلالة على سعة إشراقه وفشو إضاءته حتى يضيء له السموات والأرض ، أو يراد أهل السموات والأرض وأنهم يستضيئون به (٤) .

(١) صدر بيت من الطويل للنابغة يمدح النعمان بن المنذر . انظر: ديوانه(٧٤) .
وعجز البيت : إذا ظهرت لم يبد منهن كوكب

(٢) عجز بيت من الكامل ، وصدره : هلا خصصت من البلاد بمقصد ، انظر: تفسير القرطبي ١٦٩/١٢. طبعة دار الشعب.

(٣) انظر: البيت في تفسير القرطبي ١٧٠/١٢ طبعة دار الشعب .

(٤) البحر المحيط ٤١٨/٦ .

وهكذا نرى أبا حيان يوجه القراءات ويخرج المعنى واللفظ من الحقيقة إلى المجاز ، ويؤكد أن الإسناد إلى المجاز باعتبارين مختلفين ، بل لابد من الحمل على المجاز لأن هذا في باب الصفات لله –عز وجل – فلا يمكن حملها على الحقيقة ، بل لابد من حملها على اللمجاز ، وهذا ما ذهب إليه العلماء في مبحث الصفات .

التجنيس المغاير

نجد الإمام أبا حيان يسير مبرزا النواحي البلاغية في تفسيره ، ويخص من ذلك ما يسمى (التجنيس المغاير) ، وهو ضرب من علم البديع ، فيقول ضمن تفسيره لقول الله تعالى : ﴿ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ (١) .

" ضرب من البديع ، وهو التجنيس المغاير ، وهو أن يكون إحدى الكلمتين إسماً والأخرى فعلاً "(٢) .

ويذكر أبو حيان مثالا آخر للتجنيس المغاير ضمن تفسيره لقول الله تعالى : ﴿ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةً ﴾ (٣)

فيقول: " وتضمنت هذه الآيات أنواعاً من : الفصاحة ، والبلاغة ، والبديع ، منها :

(١) البقرة (١٥٩) .
(٢) البحر المحيط ٦٣٤/١ .
(٣) النساء (١٠٢) .

التجنيس المغاير في : فيميلون ميلة ، وفي : كفروا إن الكافرين ، وفي : تختانون وخواناً ، وفي : يستغفروا غفوراً . والتجنيس المماثل في : فأقمت فلتقم ، وفي : لم يصلوا فليصلوا ، وفي : يستخفون ولا يستخفون ، وفي : جادلتم فمن يجادل ، وفي : يكسب ويكسب ، وفي : يضلوك وما يصلون ، وفي : وعلمك وتعلم [١] .

وهناك ما يسمى بـ "التجنيس المماثل " وهو ما كان اللفظان فيه من نوع واحد ، اسمية نحو (أصلحت ساعة في ساعة) ، او فعلين نحو : ضربت في الأرض وضربت عمرا ، أو حرفين نحو: إذا مررت بعمرو فسل به البحر .

فنرى الإمام أبا حيان –رحمه الله – يذكر هذا النوع من أنواع البديع خلال تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ ﴾ [٢] فيقول: إن هذه الآية فيها من أنواع البديع ما يسمى بالتجنيس المماثل [٣] .

وجاء في البديع في نقد الشعر لقدامة بن جعفر : " اعلم أن التجنيس المماثل هو أن تكون كلمتان اسمين أو فعلين، كما قال الله عز وجل: " فروح، وريحان وجنة نعيم " الواقعة / ٨٩ ، وقال عز وجل: " وجني الجنتين دان " الرحمن /٥٤ ؛ وقال النبي –ﷺ– : " الظلم ظلمات يوم القيامة " ؛ وقال عليه الصلاة والسلام : " ذو الوجهين لا يكون وجيهاً يوم القيامة " " [٤] .

---

(١) البحر المحيط ٣٦٣/٣ .

(٢) النساء (٨٩) .

(٣) البحر المحيط ٣٢٧/٣ .

(٤) البديع في نقد الشعر ١/١ . وتحرير التحبير في صناعة الشعر باب المشاكلة، لابن أبي الأصبع ٧٨/١ ، ١/ ٩٥ .

اللف والنشر

(١) وهو ذكر متعدد على جهة التفصيل أو الإجمال ، ثم ذكر ما لكل واحد من غير تعيين ؛ ثقة بأن السامع يرده إليه .

فالأول : ضربان لان النشر اما على ترتيب اللف ، كقوله تعالى : ﴿ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ (١) .

وإما على غير ترتيبه كقول الفرزدق :

لقد خُنْتَ قَوْماً لَوْ لَجَأْتَ إليهم طَرِيدَ دمٍ أو حامِـــلاً ثِقْلَ مَغْرَمِ
لألفيتَ فيهمْ مطعِماً ومطاعِناً وراءَك شَزْراً بالوشيجِ المقــومِ

والثاني كقوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ﴾ فإن الضمير في قالوا لأهل الكتاب من اليهود والنصارى والمعنى وقالت اليهود لن يدخل الجنة إلا من كان هودا وقالت النصارى لن يدخل الجنة إلا من كان نصارى فلف بين القولين ثقة بأن السامع يرد إلى كل فريق قوله وأمنا من الإلباس لما علم من التعادي بين الفريقين وتضليل كل واحد منهما لصاحبه (٢) .

ويبلغ اللف والنشر مقصده عندما يكون اللف والنشر في بيت واحد أو آية واحدة ، خاليا من الحشو وعقادة التركيب ، جامعا بين سهولة اللفظ والمعاني المخترعة (٣) .

---

(١) القصص (٧٣) .

(٢) الإيضاح في علوم البلاغة ٣٣٢/١-٣٣٣ الخطيب القزويني ، تحقيق : الشيخ بهيج عزاوي ، دار احياء العلوم .

(٣) معاهد التنصيص على شواهد التلخيص ٣٧٨/٢ .

ويقول الزمخشري عن اللف : إنه لطيف المسلك لا يكاد يهتدي إلي تبينه إلا النقاب المحدث من علماء البيان [١] .

(٢) بعد ان بينا معنى اللف والنشر لابد أن نستشهد ببعض حديث الإمام أبي حيان عنه ، يقول أبو حيان في تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ﴾ [٢]: " والظاهر أن (الَّذِينَ يُنفِقُونَ) متعلق (بمنامكم) ، فامتن تعالى بذلك ، لأن النهار قد يقام فيه ، وخصوص من كل مشتغلاً في حوائجه بالليل . (وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مّن فَضْلِهِ) : أي فيهما ، أي في الليل والنهار معاً ، لأن بعض الناس قد يبتغي الفعل بالليل ، كالمسافرين والحراس بالليل وغيرهم .

ويستشهد أبو حيان بقول الزمخشري فيقول :

وقال الزمخشري : هذا من باب اللف ، وترتيبه : (وَمِنْ ءايَاتِهِ مَنَامُكُم بِالَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ) ، ولأنه فصل بين الفريقين الأولين بالقرينين الآخرين لأنهما زمانان ، والزمان والواقع فيه كشيء واحد مع إعانة اللف على ذلك ، ويجوز أن يراد (مَنَامُكُم) في الزمانين ، (وَابْتِغَاؤُكُمْ مّن فَضْلِهِ) فيهما . والظاهر هو الأول لتكرره في القرآن ، وأسد المعاني ما دل عليه القرآن " [٣].

---

(١) البلاغة: البيان والبديع – جامعة المدينة العالمية – باب: مدخل البديع في الإعجاز القرآني ٣٢١/١ . الناشر: جامعة المدينة العالمية ماليزيا .

(٢) الروم (٢٣) .

(٣) البحر المحيط ١٦٢/٧ .

لله درك يا أبا حيان حين شرحت هذه الآية ، وبينت أن هذا هو ما دل عليه القرآن ، وجعلت المعاني السديدة ما دل عليها القرآن ، فإن أفضل ما فسر القرآن بالقرآن . وهذا يتفق مع ما سبق أن بيناه في تعريف اللف والنشر ، فهذا لف ونشر مرتب بحسب وضعية اللفظ ووضوح المعنى . والله أعلم .

(٣) وفي موضع آخر يتحث أبو حيان عن اللف والنشر ناقلا عن الزمخشري قوله في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ ﴾ [(١)] : "شرع ذلك ، يعني جملة ما ذكر من أمر الشاهد بصوم الشهر ، وأمر المرخص له بمراعاة عدة ما أفطر فيه ، ومن الترخيص في إباحة الفطر فقوله : (لتكملوا) ، علة الأمر بمراعاة العدة ، (ولتكبروا)علة ما علم من كيفية القضاء والخروج عن عهدة الفطر ولعلكم تشكرون ، علة الترخيص والتيسير . وهذا نوع من اللف لطيف المسلك لا يكاد يهتدي إلى تبينه إلاَّ النقاد المحذق من علماء البيان " [(٢)] .

(١) البقرة (١٨٥) .

(٢) البحر المحيط ٢/٥٠-٥١ .

الانتقال

يذكر أبو حيان نوعا من أنواع لطيف علم البيان فيقول في تفسيره لقول الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣ ﴾ (١)

"مناسبة هذه الآية لما قبلها أنه أخبر تعالى : أولاً بكتب القصاص وهو : إتلاف النفوس ، وهو من أشق التكاليف ، فيجب على القاتل إسلام نفسه للقتل ، ثم أخبر ثانياً بكتب الوصية وهو : إخراج المال الذي هو عديل الروح ، ثم انتقل ثالثاً إلى كتب الصيام ، وهو : منهك للبدن ، مضعف له ، مانع وقاطع ما ألفه الإنسان من الغذاء بالنهار ، فابتداء بالأشق ثم بالأشق بعده ، ثم بالشاق فبهذا انتقال فيما كتبه الله على عباده في هذه الآية ، وكان فيما قبل ذلك قد ذكر أركان الإسلام ثلاثة : الإيمان ، والصلاة ، والزكاة ، فأتى بهذا الركن الرابع ، وهو : الصوم .

وبناء (كتب) للمفعول في هذه المكتوبات الثلاثة ، وحذف الفاعل للعلم به ، إذ هو : الله تعالى ، لأنها مشاق صعبة على المكلف ، فناسب أن لا تنسب إلى الله تعالى ، وإن كان الله تعالى هو الذي كتبها ، وحين يكون المكتوب للمكلف فيه راحة واستبشار يبني الفعل للفاعل ، كما قال تعالى : (كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ) (كَتَبَ اللَّهُ لأَغْلِبَنَّ أَنَاْ وَرُسُلِى)

(١) البقرة (١٨٣) .

(أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ الإيمَانَ) وهذا من لطيف علم البيان " [١] .هذا والله أعلي وأعلم

كما قال تعالى : (كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ) (كَتَبَ اللَّهُ لاَغْلِبَنَّ أَنَاْ وَرُسُلِى) (أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ الإيمَانَ) وهذا من لطيف علم البيان " [٢] .هذا والله أعلي وأعلم

(١) البحر المحيط ٢/٣٥ .

(٢) البحر المحيط ٢/٣٥ .

النتائج

١- تعد الوجوه البلاغية من أهم الموضوعات التي تشتمل عليها التفاسير القرآنية وخاصة تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي .

٢- توجيه أنظار الباحثين إلي استخراج الوجوه البلاغية من كتب التفسير للوقوف علي أوجه البلاعة القرآنية ومعرفة مصدر التحدي وخاصة بعد كثرة الهجوم علي القرآن الكريم علي صفحات الجرائد والقنوات الفضائية

٣- رد الهجمات العلمانية والالحادية عن القرآن الكريم وابراز العلوم البلاغية التي – قد تخفي – علي هؤلاء الفئات من الكارهين للقرآن الكريم ، ومحاولة ابعاده عن التأثير في حياة المسلمين

٤- تربية الجيل الجديد علي بعض الوجوه البلاغية التي تمكنهم من تذوق جمال وروعة الفظ القرآني العظيم

٥- فتح باب الاجتهاد والتجديد ،وربط الماضي الذي سطره المفسرون في تفاسيرهم بالواقع الجديد وبالحاضر والمستقبل لإزالة الهوة الناشئة بين الاجيال الجديدة والسابقين من علماء الأمة ، ، والجمع بين الأصالة والمعاصرة في الدراسات القرآنية

٦- تحفيز أصحاب علوم البلاغة للقيام بدورهم في اظهار هذه المعاني حتي يؤدوا ماعليهم من وجوب نشر العلم الذي من الله تعالي عليهم به ، بين جموع المسلمين

٧- تدريس علوم البلاغة في صفوف المعاهد والمدارس الاعدادية والثانوية والمرحلة الجامعية – وخاصة كلية اللغة العربية – في جامعة الأزهر الشريف .

هذا جانب من النتائج التي توصلت إليها ، وهناك غيرها مبثوث في ثنايا البحث المبارك – بعون الله تعالي – والله أعلم

وندعو الله فنقول :(الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله لقد جاءت رسلنا بالحق ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون) الأعراف /٤٣ .

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام علي أشرف المرسلين سيدنا محمد صلي الله عليه وسلم وبعد :

فهذه بعض الوجوه البلاغية في تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي وقد تكلم عنها في تفسيره ، وحاولت قدر الامكان ، أخرجتها في بحث مستقل ، كي نقف علي علي مهارة أبي حيان الأندلسي في البلاغة ، وتذوقه لبلاغة القرآن الكريم ،وابرازها في ثوب قشيب يليق بجلال القرن الكريم .

وقد استخدم أبوحيان معظم مصطلحات علوم البلاغة نواع البلاغة الثلاثة ، وكيف لا وهو فارس البلاغة العربية والنحو في زمانه ،وهو من كان يرجع إليه في علوم العربية ، وفي اعراب القرآن ، وبيان بلاغة ألفاظه ، حيث كان هو محل الاعجاز القرآني للعرب وغيرهم قديما وحديثا

وقد حاولت قدر جهدي ابراز ابراز وتوضيح هذا الجانب ذو الأهمية العظيمة في تفسير أبي حيان الأندلسي المسمي ب (البحر المحيط)

فإن كنت قد أصبت فهذا محض فضل من الله تعالي ، وأشكره ﷻ علي أن وفقني للصواب .

وإن كان قد جانبني الصواب ، وفقدت الصواب ، وصعب علي البيان ، فهذا من نفسي ومن الشيطان ، وأبرأ إلي الله تعالي منهما ، وأسأله الحفظ من الزلل في القول والعمل .

إنه نعم المجيب ونعم المولي ونعم النصير

د / محمد إبراهيم أحمد رجب

المراجع

القرآن الكريم

١- أحكام القران – ابن العربي تحقيق / محمد عبد القادر عطا دار الفكر العربي – بيروت – لبنان .

٢- اعراب القرآن – ابن سيده .

٣- الأنساب – السمعاني .

٤- الايضاح في علوم البلاغة محمد بن يوسف القزويني – دار احياء العلوم الطبعة الرابعة – بيروت ١٩٩٨

٥- البحر المحيط لابي حيان الأندلسي – دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الثانية ٢٠٠٧

٦- البديع في نقد الشعر .

٧- البلاغة – البيان –والبديع – جامعة المدينة العالمية

٨- البلاغة العربية = أسسهاوعلومها وفنونها الدكتور / عبد الرحمن حنبكة الميداني .

٩- الحماسة البصرية – أبو الحسن البصري .

١٠- الخلاصة في علوم البلاغة – علي بن نايف الشحود .

١١- تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر.

١٢- تفسير القرطبي تحقيق : أحمد البردوني وابراهيم اطفيش طبعة دار الشعب ودار الكتب المصرية – القاهرة .

١٣- ديوان النابغة .

١٤- روح المعاني للإمام الألوسي– دار احياء التراث العربي – بيروت .

١٥- سنن ابن ماجة – محمد بن يزيد القزويني – تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي دار الفكر العربي – بيروت .
١٦- السنن الكبري –أحمد بن علي الخراساني البيهقي ت ٤٥٨تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان .
١٧- شرح الجوهر المكنون في صدق الثلاثة فنون – أبو عبد الله أحمد بن عمر بن مساعد الحازمي .
١٨- شرح ديوان أبي طالب
١٩- شرح شواهد المغني – جلال الدين السيوطي .
٢٠- شرح الكافية البديعية .
٢١- صحيح البخاري – محمد بن اسماعيل البخاري الجعفي تحقيق : محمد زهير الناصر – دار طوق النجاة .
٢٢- صحيح مسلم – مسلم بن الحجاج القشيري- دار الجيل +دار الأفاق الجديدة – بيروت
٢٣- غرائب القرآن ورغائب الفرقان نظام الدين الحسن محمد النيسابوري دار الكتب العلمية –الطبعة الأولي بيروت – لبنان ١٤١٦/ ١٩٩٦
٢٤- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل – أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري تحقيق : عبد الرزاق المهدي – دار احياء التراث العربي – بيروت
٢٥- اللباب في تهذيب الأنساب – علي بن أبي الكرم محمد بن محمد الشيباني الجزري – دار صادر – بيروت
٢٦- لسان العرب – ابن منظور الامصري الأفريقي – دار صادر – بيروت

٢٧- مسند أحمد بن حنبل تحقيق : شعيب الأرناؤوط – مؤسسة الرسالة – بيروت الطبعة الثانية ١٤٢٠ / ١٩٩٩

٢٨- معاهد التنصيص علي شواهد التلخيص – عبد الرحيم العباسي

تم بحمد الله تعالي